

رسائل النبي والمرأة المسلمة

الرسالة الأولى : تكريم الإسلام للمرأة

الرسالة الثانية : موعظة النساء

الرسالة الثالثة : صفات الزوجة الصالحة

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

سَيِّدَاتُكِ الْهَرَاءِ الْمُسْلِمَاتِ

نِسَاءُ النَّبِيِّ الْهَرَاءِ الْمُسْلِمَةِ

الرِّسَالَةُ الْأُولَى : تَكْرِيمُ الْإِسْلَامِ لِلْمَرْأَةِ

الرِّسَالَةُ الثَّانِيَّةُ : مَوْعِظَةُ النِّسَاءِ

الرِّسَالَةُ الثَّالِثَةُ : صِفَاتُ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ

تَأَلَّفَ

عَبْدُ الرَّزَاقِ بْنُ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْبَدَلِي

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ بَعْضِ الْحُسَيْنِيِّينَ بِإِذْنِ الْمَوْلَانَا وَاعْتِزَالِهِمُ بِالْمَوْلَانَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المجموع:

الحمد لله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وعلى
الآل والصحب ومن اقتفى.

أما بعد: فهذه ثلاث رسائل تخص المرأة المسلمة، وتهمها في
أمر دينها، وسبيل سعادتها في دنياها وأخرائها، سبق أن طُبعت كل
واحدة منها مُفردة غير مرّة، وقد رغب بعض الأفاضل في طبعها في
هذا المجموع؛ لكونها في باب واحد، ويُكَمِّل بعضها بعضا.
وأسأل الله أن يعظم النفع بها والبركة، إنه سميع مجيب.

وكتبه: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

في: ٢٢ / ١ / ١٤٣٧

سَيِّئَاتُكِ يَا امْرَأَةَ الْمُسْلِمِ

الرَّسَالَةُ الْأُولَى :

تَكْرِيمُ الْإِسْلَامِ لِلْمَرْأَةِ

تَأْلِيفُ

عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْبَدْرِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتمم علينا النعمة، وجعل أمتنا - أمة الإسلام - خير أمة، وبعث فينا رسولا منا، يتلو علينا آياته، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على من بُعث رحمة للعالمين، وقُدوة للعاملين، ومَحَجَّةً للسالكين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ نعمة الله على عبده المسلم عظيمةٌ، ومَتَّه عليه كبيرةٌ بهدايته إلى هذا الدين العظيم، دين الإسلام، دين الله الذي ارتضاه لعباده، وكَمَّلَه لهم، ولا يقبل منهم دينًا سواه، يقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. ويقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [٧] فضلًا من الله ونعمةً والله عليمٌ حكيمٌ ﴿[الحجرات: ٧-٨].

إنَّه الدين الذي أصلح الله به العقائد والأخلاق، وأصلح به

الحياة الدنيا والآخرة، وزَيَّنَ به ظاهر المرء وباطنه، وخلص به كلَّ مَنْ اعتنقه وتمسَّك به من براثن الباطل، ومهاوي الرَّذيلة، ومنزلاقات الانحراف والضلال. إِنَّه الدِّين القويم المحكم غاية الإحكام في أهدافه ومقاصده، و في هداياته ودلالاته، وفي نهاياته وثمراته. أخبره كلُّها حقَّ وصدق، وأحكامه كلُّها عدل وإحسان، فما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به، ولا أحل شيئاً فقال العقل: ليته حرَّمه، ولا حرم شيئاً فقال العقل: ليته أباحه. ولم يأت قطَّ علمٌ صحيحٌ ينقض شيئاً من أخباره العظيمة، ولا حكمٌ سليمٌ يبطل شيئاً من أحكامه القويمة.

إنه الدِّين العظيم الذي يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، الصدق شعاره، والعدل مداره، والحق قوامه، والرَّحمة روحه وغايته، والخير قرينه، والصالح والإصلاح جماله وأعماله، والهدى والرَّشْدُ زادُه، من تركه وترك الاهتداء به رحلت عنه العقيدة القويمة، والأعمال الجليلة، والأخلاق العالية النبيلة، وحلَّت محلُّها أوهامُ العقول، وتفاهات الآراء، وسيِّء الأعمال، ورذيل الأخلاق.

ولهذا فإنَّ أعظم كرامة ينالها العبدُ الهداية لهذا الدِّين العظيم، والتوفيق للاعتصام به والتمسَّك بهداياته، والالتزام بدلالاته

وإرشاداته، والبعد التام والحذر الكامل عن كلّ ما ينهى عنه ويحذر منه.

ومن كمال هذا الدين العظيم وجماله تكريمه للمرأة المسلمة، وصيانتها لها، وعنايته بحقوقها، ومنعه من ظلمها والاعتداء عليها، أو استغلال ضعفها، أو نحو ذلك، وجعل لها في نفسها ولمن تعيش معهم من الضوابط العظيمة، والتوجيهات الحكيمة، والإرشادات القويمة ما يحقق لها حياة هنيئة، ومعيشة سوية، وأنسًا وسعادة في الدنيا والآخرة.



أصول مهمة

ولا بدّ للمسلم في هذا المقام العظيم أن يكون مدركاً لجملة من الأصول المهمّة، والضوابط العظيمة، ليتحقق له بالعلم بها وملاحظتها والسير على وفقها، الإكرام الحقيقي، والإنعام التام الكامل، والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

أولاً: أن يعلم العبدُ علم اليقين أنّ أحسن الأحكام وأقومها وأكملها وأجملها أحكامُ ربِّ العالمين وخالق الخلق أجمعين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧]. وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]. وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٩].

ثانياً: أن يدرك العبدُ أنّ سعادته وكرامته مرتبطة تمام الارتباط بطاعته لربّه، والتزامه بأحكامه، وأنّ حظّه ونصيبه من ذلك بحسب حظّه ونصيبه من الطاعة والالتزام، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَبَّوْا كَبَّارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. وقال تعالى عن صاحب يس: ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ

﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ [يس: ٢٥-٢٧]. وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]. وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

ثالثاً: أن يتنبه العبد المسلم، والأمة المسلمة أن لهما في هذه الحياة الدنيا أعداء كثر، يسعون للإطاحة بكرامتهما، وخلخلة سبيل عزّهما وسعادتهما، ويقدّمون كلّ ما يستطيعون في سبيل النيل منهما وإهانتها.

ويأتي في مقدمة هؤلاء: الشيطان عدوّ الله، وعدوّ الإسلام، وعدوّ عباده المؤمنين، الذي غاظه أشدّ الغيظ إكرامُ الله للمؤمنين بهذا الدين، وهدايته لهم صراطه المستقيم، فأعلن عليهم حرباً شعواء، وقعد لهم بكلّ صراط، وأتى إليهم من كلّ جانب يريد إهدار كرامتهم وتضييع عزّهم وشرفهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٧﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَأُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا

﴿١٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْرِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٤﴾ [الإسراء: ٦١-٦٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ

لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٥﴾ [فاطر: ٦]. فوجب على كل مسلم ومسلمة أن يحذر منه، ومن كل عدو يهدف إلى إبعادهما عن هذا الإكرام.

رابعاً: أن يؤمن أن توفيقه، وصلاح أمره، واستقامة حاله، وتحقق كرامته؛ بيد سيده ومولاه: رب العزة سبحانه، القائل: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]. ولهذا فإن عليه أن يقوي صلته به سبحانه، ويطلب كرامته منه، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخري التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، والموت راحةً لي من كل شر»^(١). وفي هذا دلالة على أنه لا غنى لأحدٍ عن ربه؛ في صلاح أموره، واستقامة شؤونه، وتحقيق كرامته وإكرامه.

خامساً: أن يجعل أكبر همّه في هذه الحياة الدنيا أن يكون كريماً عند الله، حتى يحظى بإكرام الله له، وأن يسعد بما أعده الله سبحانه لعباده المكرمين، الذين قال فيهم: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٥]. فتلك هي الكرامة الحقيقية، ونيل ذلك إنما يكون بتحقيق

تقواه سبحانه في السرّ والعلن، والغيب والشهادة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم»^(١). ومن ابتغى الكرامة من غير هذا السبيل؛ فإنما يركض في سراب، ويسعى في سبيل خيبة وتباب.

سادساً: أنّ المرأة على وجه الخصوص يلزمها أن تعلم أنّ أحكام الشرع المتعلقة بشأنها؛ محكمة غاية الأحكام، متقنة غاية الإتيان، لا نقص فيها ولا خلل، ولا ظلم فيها ولا زلل، كيف لا وهي أحكام خير الحاكمين، وتنزيل ربّ العالمين، الحكيم في تدبيره، البصير بعباده، العليم بما فيه سعادتهم وفلاحهم، وصلاحتهم في الدنيا والآخرة، ولهذا فإنّ من أعظم العدوان وأشدّ الإثم والهوان، أن يقال في شيء من أحكام الله المتعلقة بالمرأة أو غيرها، إنّ فيها ظلماً، أو هضمًا، أو إجحافًا، أو زللاً، ومن قال ذلك أو شيئاً منه؛ فما قدر ربّه حقّ قدره، ولا وقّره حقّ توقيره، والله جلّ وعلا يقول: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]. أي: لا تعاملونه معاملة من توقّرونه، والتوقير: التعظيم، ومن توقيره سبحانه: أن تلتزم أحكامه، وتطاع أوامره، ويُعتقد أنّ فيها السلامة والكمال والرّفعة، ومن اعتقد فيها خلاف ذلك؛ فما أبعده عن

الوقار، وما أجدره في الدنيا والآخرة بالخزي والعار.
فهذه أصول مهمّة، وضوابط عظيمة، يجدر التنبه لها والعناية
بها بين يدي هذا الموضوع، بل هي في الحقيقة ركائزه التي عليها
يُبنى، وأُسُسُه التي عليها يقوم.



من هي المرأة؟

المرأة في اللغة: تأنيث المراء، ويقال: امرأة، ومرة، ولا جمع لمفردها، وإنما تجمع على نساء ونسوة، وهي ذلك المخلوق الذي أوجده الله عز وجل ليكون شريكا للرجل في حياته، وقد خلقت في الأصل من الرجل نفسه، ليكون ذلك أعمق في التجانس وأوثق في الصلة والتقارب، ولتحقق بينهما المودة والرحمة في أبهى حلة وأجمل صورة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٢١﴾ [الروم: ٢١]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ لِطَائِفَةٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُونَ وَيُبْتَغِي اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ۝٧٢﴾ [النحل: ٧٢].

وقد دلت الآيات على أن حواء زوج آدم عليه السلام قد خلقت منه. ثم بث سبحانه منهما رجالا كثيرا ونساء، وذلك عن طريق التزاوج، الذي يكون به الحمل والإنجاب.

وجعل في الرجل مقوماته وخصائصه، وجعل في المرأة مقوماتها وخصائصها، وخروج كل منهما عن مقوماته وخصائصه يُعدّ ميلا عن الفطرة، وانحرافاً عن السبيل. وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنّ المرأة خلقت من ضلع، وإنّ أعوج شيءٍ في الضلع أعلاه، فإن ذهبَ تقيمه كسرته، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج»^(١).

قال النووي رحمته الله: «وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم، أنّ حواء خلقت من ضلع آدم، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]»^(٢). وهذا يفيد أنّ المرأة في أساس بنيتها، وأصل خلقتها قد مُيّزت ببعض الخصائص والمقومات التي تجعل لها وضعاً خاصاً، وأسلوباً معيناً في الحياة، ينطلق من أنوثتها وأمومتها ورقّتها وضعفها، وكثرة تقلّب أحوالها، فهي تحيض، وتحمل، وتتوحم، وتلد، وترضع، وتباشر حضانة مولودها، إلى غير ذلك مما هي مختصة به، كما أنّ الرجل له خصائصه ومقوماته.

وليس لأحد الطرفين أن يتطلّع إلى خصائص الطرف الآخر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٥٧/١٠).

مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿النساء: ٣٢﴾. وقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

وقوامه الرجل على المرأة هو مما فضل الله به بعضهم على بعض، ومن ذلك ما خصَّ به الرجل من كمال العقل والرزانة والصبر والجلد والتحمل والقوة مما ليس للمرأة مثله، ولهذا جعل للرجل على المرأة حقوقاً تتناسب مع قدراتها وأساس تكوينها، وجعل للمرأة على الرجل حقوقاً تتناسب مع قدراته وأساس تكوينه.



ما حقيقة تكريم الإنسان؟

ومن يتأمل في دلالات النصوص وهدايات الأدلة يجد أن تكريم الله جلّ وعلا للإنسان على نوعين:

١- تكريم عام؛ وهو ما بيّنه تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]..

قال القرطبي رحمه الله: «وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة، وحسن الصورة، وحملهم في البر والبحر مما لا يصحّ لحيوان سوى بني آدم، وأن يتحمّل بإرادته وقصده وتديره. وتخصيصهم بما خصّهم به من المطاعم والمشارب والملابس، وهذا لا يتّسع في حيوان كاتّساعه في بني آدم؛ لأنّهم يكسبون المال خاصّةً دون الحيوان، ويلبسون الثياب، ويأكلون المركّبات من الأطعمة. وغاية كلّ حيوان يأكل لحمًا نيئًا أو طعامًا غير مرّكب»^(١).

وقال ابن كثير، عليه رحمة الله: «يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إيّاهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/٢٩٩).

كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]. أي يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفيه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً؛ يفقه بذلك كله ويتنفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها، ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية»^(١).

٢ - وتكريمٌ خاص؛ وذلك بالهداية لهذا الدين، والتوفيق لطاعة ربّ العالمين، وهذه هي الكرامة الحقيقية، والعزّ الكامل، والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، إذ إنّ الإسلام هو دينُ الله عزّ وجلّ، دين العزّة والكرامة، والرّفعة والاستقامة، فله العزّة ولرسوله وللمؤمنين.

يقول الله تعالى مبيناً أنّ الكرامة إنّما تكون بالإذعان لعظمته، والخضوع لكبريائه، والامثال لأوامره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

فمن لم يوفق للإيمان، ولم يلتزم بطاعة الرحمن، فهو مهان غير مكرم، وحظ الإنسان من الكرامة والسلامة من الإهانة بحسب حظه من الإيمان قولاً واعتقاداً وعملاً، فمن طلب العزّة

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥١).

بغير الدِّين ذلٌّ، ومن رام الكرامة بغير الإسلام أهين.
ومما ينبغي أن يعلم هنا أنَّ التكريم في النوع الأول وهو
التكريم العام يستلزم من الإنسان القيام بأسباب نيل التكريم الثاني
وهو التكريم الخاص. بمعنى: أنَّ من أكرمه الله بالمال والصحة
والعافية إلي غير ذلك، يلزمه أن يبذل وسعه في طاعته، ويقدم
جهده في سبيل مرضاته، وإلاَّ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ سيسأله يوم القيامة
عن ذلك الإكرام.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا:
يا رسول الله! هل نرى ربَّنَا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية
الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فهل
تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟» قالوا: لا، قال:
«فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربِّكم إلا كما تضارون في
رؤية أحدهما، قال: فيلقَى العبد فيقول: أي فل أكرمك،
وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذكرك ترأس
وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظنت أنَّك ملاقي؟ فيقول: لا،
فيقول: فإنِّي أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل أكرمك،
وأسودك، وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع؟
فيقول: بلى أي رب، فيقول: أفظنت أنَّك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإنِّي أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول:

له مثل ذلك، فيقول: يا ربّ آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصليت وصمت وتصدّقت، ويشني بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذاً، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهداً عليك، ويتفكّر في نفسه من ذا الذي يشهد عليّ؟! فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليُعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه^(١).

قوله: «أي فل» أي: يا فلان.

والحديث واضح الدلالة في أنّ الإنسان يُسأل يوم القيامة عن إكرام الله له بالعافية والصحة، والمال والمسكن، والطعام والشراب إلّٰي غير ذلك، إذ إنّ سبّحانه أكرمه بذلك ليقوم بطاعة الله وليعمل في مرضاته سبّحانه، فإذا صرف النعمة في غير حقّها، واستعملها في غير وجهها حوسب على ذلك يوم القيامة.



(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

كرامة المرأة في الإسلام

إنّ الدين الإسلامي الحنيف بتوجيهاته السديدة، وإرشاداته الحكيمة، صان المرأة المسلمة، وحفظ لها شرفها وكرامتها، وتكفل بتحقيق عزّها وسعادتها، وهيّا لها أسباب العيش الهنيء، بعيدا عن مواطن الريب والفتن، والشرّ والفساد، وهذا كلّ من عظيم رحمة الله بعباده حيث أنزل عليهم شريعته ناصحة لهم، ومصلحةً لفسادهم، ومقومةً لاعوجاجهم، ومتكفلةً بسعادتهم، وتلك التدابير العظيمة التي جاء بها الإسلام تعدّ صمام أمان للمرأة، بل للمجتمع بأسره من أن تحلّ به الشرور والفتن، وأن تنزل به البلايا والمحن، وإذا ترحّلت ضوابط الإسلام المتعلقة بالمرأة عن المجتمع حلّ به الدمار، وتوالت عليه الشرور والأخطار، والتاريخ من أكبر الشواهد على ذلك، إذ من يتأمل التاريخ على طول مداه يجد أنّ من أكبر أسباب انهيار الحضارات، وتفكك المجتمعات، وتحلل الأخلاق، وفشو الرذائل، وفساد القيم، وانتشار الجرائم، هو تبرّج المرأة وسفورها ومخالطتها للرجال، ومبالغتها في الزينة والاختلاط، وخلوتها مع الأجانب، وارتياؤها للمتديّات العامة، وهي في أتمّ زينتها، وأبهى حلّتها، وأكمل تعطرّها.

قال ابن القيم: «ولا ريب أنَّ تمكين النساء من اختلاطهنَّ بالرجال أصل كلِّ بليَّةٍ وشرٍّ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنَّه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سببٌ لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة^(١)، ولَمَّا اختلطت البغايا بعسكر موسى، وفشت فيهم الفاحشة، أرسل الله عليهم الطاعون، فمات في يوم واحد سبعون ألفاً، والقصة مشهورةٌ في كتب التفاسير، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا، بسبب تمكين النساء من اختلاطهنَّ بالرجال، والمشي بينهم متبرَّجات ومتجمَّلات، ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية - قبل الدين - لكانوا أشدَّ شيءٍ منعاً لذلك»^(٢). اهـ كلامه.

فالإسلام جاء فيه من التدابير الوقائية والإجراءات العلاجية ما يقطع دابر تلك الفتن ويخلص المجتمع من تلك الآفات والشرور، فهي تعاليم مباركة تعين على اجتناب الموبقات والبعد عن الفواحش والمهلكات، رحمةً من الله بالعباد، وصيانةً لأعراضهم، وحمايةً لهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وقد جاء في الإسلام ما يدلُّ على أنَّ الفتنه بالنساء إذا وقعت

(١) مثل: الإيدز، والزهري، والسل، وغيرها.

(٢) «الطرق الحكمية» (ص: ٢٨١).

ترتب عليها من المفسدات والشور والأخطار ما لا يدرك مداها، ولا تحمد نهايته وعقباها.

روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ما تركت بعدي فتنةً أضّرَّ على الرجال من النساء»^(١).

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»^(٢).

ولأجل هذا جعل لها وللرجل من الضوابط القويمة، والتوجيهات العظيمة، التي يتحقق بالقيام بها كل خير وفضيلة وكرامة في الدنيا والآخرة. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٣) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿[النور: ٣٠-٣١]. ويقول تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٤) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴿[الأحزاب: ٣٢-٣٥]. ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٥) ﴿[الأحزاب: ٥٩]. والنصوص في هذا

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

المعنى في الكتاب والسنة كثيرة، والإسلام لم يفرض تلك الضوابط كتباً للحريات، ولا لأجل التضييق على الناس، وإنما أمر بذلك؛ صيانةً للمجتمع، ومحافظةً على فضيلته، وإبقاءً على عزته وكرامته.

ولم يفرض الإسلام على المرأة المسلمة تلك الضوابط ليكبت حريتها، وإنما جاء بذلك ليصونها عن الابتذال، وليحميها من التعرض للفاحشة، وليمنعها من الوقوع في الجريمة والفساد، وليكسوها بذلك حلة التقوى والطهارة والعفاف، فسدّ بذلك كلّ ذريعة تفضي إلى الفاحشة، أو توقع في الرذيلة، وتلك هي الكرامة الحقيقية للمرأة.



من هدايات القرآن في الإحسان إلى المرأة

مَنْ يَتَأَمَّلْ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ هَدًى وَرَحْمَةً، وَضِيَاءً وَنُورًا، وَذَكَرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ؛ يَجِدُ فِيهِ عَنَاءَةً عَظِيمَةً بِشَأْنِ الْمَرْأَةِ، وَحَثًّا بِالْغَا عَلَىٰ رِعَايَةِ حَقُوقِهَا، وَتَحْذِيرًا شَدِيدًا مِنْ ظُلْمِهَا وَالتَّعَدِّيِّ عَلَيْهَا، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الْمَقْرَّرَةِ لِهَذَا الْأَمْرِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ، بَلْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: «سُورَةُ النِّسَاءِ»، وَفِيهَا آيَاتٌ عَدِيدَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالنِّسَاءِ، وَبَيَانُ مَا لِهِنَّ مِنَ الْحَقُوقِ الْعَظِيمَةِ.

وَمِنْ هُدَايَاتِ الْقُرْآنِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْمَرْأَةِ مَا يَلِي:

١ - الْأَمْرُ بِالتَّعَامُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ فِي حُدُودِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ، وَفَقْدِ حُدُودِ عَظِيمَةٍ وَضَوَابِطِ قَوِيمَةٍ، وَحَذْرُ مَنْ ظَلَمَهَا أَوْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ فِي التَّعَامُلِ مَعَهَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَتَاءٍ عَاتَبْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُخَافَاَ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْنَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا

نَنْجِدُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُزُواً وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعْظَمُ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ ۚ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢٢٩-٢٣٢﴾.

٢ - وضع الضوابط الدقيقة المتعلقة بالنفقة على المرأة حال إمساكها، أو تسريحها، مع الحث على مراعاة جانب الإحسان إليها، وتغليب ذلك في كل الأحوال.

قال تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التَّوَسُّعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣١﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَوَضَعُوهَا فَرِيضَةً مِمَّا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاجِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿البقرة: ٢٣٦-٢٣٧﴾.

٣- أوجب على الزوج إعطاء الزوجة المهر الذي قرره لها، إلا إن تنازلت له عن شيء منه، فيكون له حلالاً.

قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ نَحْلَةً ۚ إِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا﴾ ﴿النساء: ٤﴾.

٤ - حدّد لها نصيبها من الميراث مما تركه الوالدان أو غيرهما من أقاربها، على حسب نوع القرابة، وفي حدود ما تستحق.

قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا

تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿النساء: ٧﴾.

٥- حذر من عضل المرأة، أو التضييق عليها، أو الرجوع في شيء من صداقتها.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٩-٢١].

٦- بين ما لكل واحد من ميزات وفضائل، وحذر من تطلع أحدهما إلى ما فُضِّل به الآخر.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

٧- جعلها قرينة للرجل في الطاعة والتقرب إلى الله، مأمورة بما أمره به من العبادة، ولكل منهما يوم القيامة أجره وثوابه، على قدر إخلاصه وجدّه وعبادته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِقِينَ

وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُنَّ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿الأحراب: ٥٣﴾.

٨ - وضع الضوابط الدقيقة لمعالجة النشوز والإعراض، أو نحو ذلك من الخلافات التي قد تقع بين الزوجين.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرُهَا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمَمْلُوقَةِ وَإِنْ تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿النساء: ١٢٨-١٢٩﴾.

٩ - نعى على المشركين كراھيتهم للأنثى، وذمهم غاية الذم في ذلك. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿النحل: ٥٨-٥٩﴾.

١٠ - حذر غاية التحذير من رمي المؤمنات المحصنات ما هنَّ بريئات منه:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿النور: ٤﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿النور: ٢٣﴾.

١١ - بَيَّنَّ أَنَّ الزَّوْجَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا السَّكُونُ وَالْمُودَّةُ وَالرَّحْمَةُ.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

١٢ - وَضَعَ الضَّوَابِطَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالطَّلَاقِ وَالْعِدَّةِ وَالشَّهَادَةِ، وَالنَّفَقَةَ حَالَ الْفِرَاقِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَحَدُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ١-٢]. وقال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ لِيُضْمِغْنَ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلَ فَاَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَضَعْنَ لَكُمْ فَاتَّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَاتَّمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَنْعُكُمْ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦].

١٣ - حَدَّدَ عِدَدَ الزَّوْجَاتِ لِمَنْ أَرَادَ التَّعَدُّدَ بِأَرْبَعِ نِسَوَةٍ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مُطْلَقًا، وَشَرَطَهُ بِالْعَدْلِ.

قال الله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنً وَثَلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٢].

فهذه بعض الأمثلة من هدايات القرآن الكريم، المتعلقة
بالمرأة والإحسان إليها، والضوابط التي ينبغي أن تسلك في
التعامل معها، وهي ضوابط حكيمة، وإرشادات قوية لا تنضب
أحوال الناس، ولا تستقيم أمورهم إلا بالتزامها والتقيّد بها، فهي
تنزيل ربّ العالمين، العليم بخلقه، الحكيم في شرعه.



الحفاوة بالمرأة في ظل الإسلام

إنَّ المرأة المسلمة في ظلِّ تعاليم الإسلام القويمة، وتوجيهاته الحكيمة، تعيش حياة كريمة، ملؤها الحفاوة والتكريم من أول يوم تقدم فيه إلى هذه الحياة، مروراً بكلِّ أحوالها في حياتها بنتاً، أو أمّاً، أو زوجة، أو أختاً، أو عمّةً، أو خالّةً، فهي في كلّ حال من هذه الأحوال لها حقوقها الخاصة، ولها نصيبها من الحفاوة والتكريم.

١ - ففي حال كونها ابنة: فإنَّ الإسلام يدعو إلى الإحسان إليها، والاهتمام بتربيتها، ورعايتها، وحسن تأديبها، لتنشأ امرأة صالحة صيّنة عفيفة، ونعى على الجاهلين وأدهم لها، وكراهيتهم لمجيئها، يقول تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ٥٩ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٦٠﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

وجاء في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات...»^(١).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر: أنَّ أهل الجاهلية كانوا في صفة

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

الوَأَدَّ عَلَى طَرِيقَتَيْنِ:

الأولى: أَنْ يَأْمُرَ امْرَأَتَهُ إِذَا قَرَّبَ وَضَعُهَا أَنْ تَطْلُقَ بِجَانِبِ حَفِيرَةٍ، فَإِذَا وَضَعَتْ ذَكَرًا أَبْقَتْهُ، وَإِذَا وَضَعَتْ أَنْثَى طَرَحَتْهَا فِي الْحَفِيرَةِ.

الثانية: كَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا صَارَتِ الْبَنْتُ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ، قَالَ لَأُمِّهَا: طَيِّبِهَا وَزِينِهَا لِأَزْوَاجِهَا أَقَارِبِهَا، ثُمَّ يَبْعِدُهَا فِي الصَّحْرَاءِ حَتَّى يَأْتِيَ الْبَثْرُ، فَيَقُولُ لَهَا: انْظُرِي فِيهَا، وَيُدْفَعُهَا مِنْ خَلْفِهَا وَيَطْمَعُهَا^(١).

بينما الإسلام عَدَّهَا نِعْمَةً عَظِيمَةً وَهَبَةً كَرِيمَةً مِنْ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]. وَحُضَّ عَلَى الْعَنَاءِ بِهَا تَأْدِيبًا وَتَرْبِيَةً وَتَعْلِيمًا.

فَفِي الْمُسْنَدِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَنْثَى فَلَمْ يَتَّخِذْهَا، وَلَمْ يُهْنِهَا، وَلَمْ يُوْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ»^(٢).

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهَ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، وَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ

(١) انظر: فتح الباري (١٠/٤٢١).

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٢٣).

جَدَّتْهُ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ»^(١).

وروى مسلم في صحيحه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وضمَّ أصابعه^(٢).

وروى الإمام أحمد أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «من عال ابنتين، أو ثلاث بنات، أو أختين، أو ثلاث أخوات، حتى يبلغن، أو يموت عنهنَّ؛ أنا وهو كهاتين». وأشار بأصبعه السبابة^(٣).

وروى البخاري في الأدب المفرد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بنات، يؤويهنَّ، ويكفيهنَّ، ويرحمهنَّ؛ فقد وجبت له الجنة البتَّة». فقال رجل من بعض القوم: وثنتين يا رسول الله؟ قال: «وثنتين»^(٤).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النَّبِيِّ ﷺ، فقال: أَتَقْبَلُون صبيانكم؟ فما نقبلهم. فقال النَّبِيُّ ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»^(٥).

٢ - ودعا الإسلام إلى إكرام المرأة إكرامًا خاصًا وعظيمًا حال

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣١).

(٣) أخرجه أحمد (١٤٨/٣).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٧٨).

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧).

كونها أماً: برّها، والإحسان إليها، والسعي في خدمتها، والدعاء لها، وعدم تعريضها لأي نوع من الأذى، ومعاملتها معاملة أحسن الأصحاب، وأفضل الرفقاء، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل «يا رسول الله! من أبر؟» قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك»^(١). وروى أبو داود وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يبأيه على الهجرة، وترك أبويه يبيكان، فقال: «ارجع إليهما، وأضحكهما كما أبكيتهما»^(٢).

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «الصلاة على

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٢٨)، وابن ماجه (٢٧٨٢).

وقتها»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «برّ الوالدين»، قلت: ثم أيّ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(١).

وحذّر الإسلام من إيذاء الوالدين، أو إلحاق أيّ نوع من الضرر بهما، وعدّ ذلك عقوفاً يحاسب المرء عليه يوم القيامة، بل عدّ ذلك من كبائر الذنوب.

ففي الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً. قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»، وجلس وكان متّكئاً، فقال: «ألا وقول الزور». ما زال يكرّرها حتى قلنا: ليته سكت^(٢).

وروى مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لعن الله من لعن والديه»^(٣).

٣ - وحثّ الإسلام على إكرام المرأة حال كونها زوجة: وجعل لها حقوقاً عظيمةً على زوجها، كما أنّ له عليها حقوقاً عظيمةً.

ومن حقوق الزوجة في الإسلام: المعاشرة بالمعروف، والإحسان إليها في المأكل والمشرب والملبس، والرّفق بها، وإكرامها، والصّبر عليها، ومعاملتها معاملةً كريمةً. وفي الإسلام:

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

خيرُ الناس خيرُهم لأهله.

ومن حقوقها: أن يعلمها دينها، وأن يغار عليها، ويحفظ كرامتها، ويحسن معاشرتها.

ومن الآيات الجامعة لحقوق الزوجة: قوله تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقد جاء في السنة أحاديث عديدة في التأكيد على مراعاة حقوق الزوجة والعناية بها؛ ومن ذلك: ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»^(١). قال النووي رحمته الله: (وفي هذا: ملاطفة النساء، والإحسان إليهن، والصبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن، وكرهية طلاقهن بلا سبب، وأنه لا يطمع باستقامتها، والله أعلم)^(٢).

وروى أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٥٧/١٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٠/٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢).

وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئَنَّ فَرْشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ؛ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ، وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»^(١).

والمراد بقوله: «أَنْ لَا يُوْطِئَنَّ فَرْشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ» أي: لَا يَأْذَنَنَّ لِأَحَدٍ تَكْرَهُونَهُ فِي دُخُولِ بَيْوتِكُمْ، وَالْجُلُوسِ فِي مَنَازِلِكُمْ؛ رَجُلًا كَانَ أَوْ امْرَأَةً.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خَلْقًا؛ رَضِيَ مِنْهَا آخَرٌ»^(٢).

ومعنى لَا يَفْرُكُ: أي: لَا يَبْغُضُ، فَمَنْ وَجَدَ فِي امْرَأَتِهِ خَلْقًا لَا يَعْجِبُهُ وَلَا يَرْضِيهِ، فَفِيهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْمَعَامَلَاتِ الْكَرِيمَةِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ.

وروى أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٦/٦)، وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣).

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر»: «أي: نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع، كأنهن شققن منهم، ولأن حواء خلقت من آدم عليه السلام، وشقيق الرجل أخوه لأبيه وأمه، ويُجمع على أشقاء»^(١).

وفي هذا من الدعوة إلى حسن العشرة، وطيب المعاملة، والتلطف والإحسان ما لا يخفى.

٤ - وأوصى الإسلام بالمرأة أختاً وعمّة وخالة: وأمر بصلتها والإحسان إليها، ومعرفة حقّها، ورَتّب على ذلك ثواباً عظيماً، وأجرًا جزيلاً.

روى البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه عن المقدم بن معدي كرب أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله يوصيكم بأمّهاتكم، ثم يوصيكم بأمّهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب»^(٢).

وروى الترمذي وأبو داود عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يكون لأحدٍ ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، فيحسن إليهنّ؛ إلّا دخل الجنة»^(٣).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ قال: «الرحم

(١) «النهاية» لابن الأثير (٢/٤٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٠)، وابن ماجه (٣٦٦١).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩١٢)، وأبو داود (٥١٤٧).

شجنته من الله، من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعته الله»^(١).
وفي الصحيحين أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبَّ أن يُيسطَ له في رزقه، وأن يُنسأَ له في أثره؛ فليصل رحمه»^(٢).

٥ - بل لو كانت المرأة أجنبية على الإنسان، ليست قريبةً له، وهي بحاجة إلى العون، والمساعدة فالإسلام يحثُّ على رعايتها، والإحسان إليها، ومساعدتها، ويرتّب على ذلك الأجور العظيمة.
ففي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين؛ كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم الذي لا يفتر، أو كالصائم الذي لا يفطر»^(٣).

فهذا نزرٌ قليل من الحفاوة والتكريم الذي تناله المرأة في ظلِّ تعاليم الإسلام، وهيئات أن تجد المرأة مثل هذه العناية العظيمة، والتكريم الرائع، والإحسان البالغ، بل ولا قريباً منه، في غير هذا الدين العظيم؛ دين الله الذي رضيه لعباده.



(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨٢).

الغيرة على المرأة المسلمة^(١)

إنَّ من روائع صور تكريم الإسلام للمرأة المسلمة: ما غرسه في نفوس المسلمين من الغيرة على المحارم، وهي: خلق عظيم، ووصف كريم، يقوم في قلب الرجل المسلم يدفعه إلى رعاية حريمه وحراستهنّ، وصيانة شرفهنّ وكرامتهنّ، ومنعهنّ من التبرج والسفور والاختلاط.

ويعد الإسلام الدفاع عن العرض، والغيرة على الحريم جهادا يبذل من أجله الدم، ويضحى في سبيله بالنفس، ويجازى فاعله بدرجة الشهيد في الجنة.

فعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد». وفي لفظ: «من مات دون عرضه فهو شهيد»^(٢).

بل يعد الإسلام الغيرة من صميم أخلاق الإيمان، فعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: قال سعد بن عباد: لو رأيت رجلا مع

(١) «عودة الحجاب»، للشيخ محمد بن أحمد إسماعيل المقدّم (القسم الثالث)، (ص: ١١٤-١٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢٠).

امراتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «تعجبون من غيرة سعد؟ لأننا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن». متفق عليه.^(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن من غيرة الله: أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه». متفق عليه.^(٢)

وضد الغيور: الدّيوث، وهو الذي يقرّ الخبث في أهله، فلا يكون فيه غيرةٌ عليهم، وقد ورد في الاسلام الوعيد الشديد في حق من كان كذلك.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله عزّ وجلّ إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجّلة، والدّيوث». رواه أحمد^(٣) وغيره.

والتاريخ مليءٌ بالقصص المعبرة عن شدة غيرة المسلمين على حريمهم، وعظيم عنايتهم بهذا الأمر العظيم.

ومن الحوادث العجيبة في ذلك: ما ذكره ابن الجوزي في كتابه «المنتظم» عن محمد بن موسى القاضي قال: حضرت مجلس

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤٦)، ومسلم (١٤٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١).

(٣) أخرجه أحمد (١٢٨، ٦٩، ١٣٤/٢).

موسى بن إسحاق القاضي بالري سنة ست وثمانين ومائتين، فتقدمت امرأة، فادّعى وليّها على زوجها خمسمائة دينار مهرًا، فأنكر، فقال القاضي: شهودك، قال: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي، فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قال: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة، لتصحّ عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أشهد القاضي أنّ لها عليّ هذا المهر الذي تدّعيه، ولا يُسفر عن وجهها. فأخبرت المرأة بما كان من زوجها، فقالت: فإني أشهد القاضي بأنّي قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة. فقال القاضي: يُكتب هذا في مكارم الأخلاق^(١).

نعم، يُكتب هذا في مكارم الأخلاق، وجيليل الآداب، ورفيع القيم، وأين هذا ممن لا يقيم لحرمة زنا، ولا يستشعر تجاه أهله شيئًا من هذه القيم النبيلة والخصال الكريمة.



(١) «المنتظم لابن الجوزي» (١٢/٤٠٣).

الإسلام منقذ للمرأة

إنَّ من ينظر إلى حال المرأة المسلمة في ظل تعاليم الإسلام الكريمة، وتوجيهاته العظيمة، يجد أنَّ الإسلامَ منقذٌ للمرأة من براثن الرذيلة، ومخلصٌ لها من حمأة الفساد، فهي في كنف الإسلام وتحت رعايته، تعيش حياة الطهر والعفاف، والستر والحياء، منيعة الجانب، رفيعة القدر، في أدب رفيع، وخلق عظيم، وحياء جمٍّ، بعيدة عن عبث الذئاب، وولوغ الفساق، وكيد المجرمين، ومَن يتأمل أحوال المرأة في الجاهلية ثم أحوالها في الإسلام؛ يتبيَّن هذه الحقيقة بجلاء.

روى البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير: أنَّ عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أخبرته: «أنَّ النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها: نكاح الناس اليوم، يخطب الرَّجل إلى الرَّجل وليَّته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلني إلى فلان، فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها، ولا يمسُّها أبداً، حتى يتبيَّن حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبَّين حملها؛ أصابها زوجها إذا أحبَّ، وإنَّما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر: يجتمع الرَّهط ما دون العشرة،

فيدخلون على المرأة، كلهم يصيها، فإذا حملت ووضعت، ومَرَّ ليل بعد أن تضع حملها؛ أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحببت باسمه، فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل. والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثيرون، فيدخلون على المرأة، لا تمنع من جاءها، وهنّ البغايا، كنّ ينصبن على أبوابهنّ الرايات تكون علماً، فمن أرادهنّ دخل عليهنّ، فإذا حملت إحداهنّ ووضعت حملها، جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاطته به^(١)، ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك. فلما بُعث محمد ﷺ بالحقّ؛ هدم نكاح الجاهلية كلّهُ، إلّا نكاح الناس اليوم^(٢).

لقد «كانت المرأة تشتري وتباع كالبهيمة والمتاع، وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء، وكانت تورث ولا ترث، وكانت تُملك ولا تُملك، وكان أكثر الذين يملكونها يحجبون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل، وكانوا يرون للزوج الحقّ في التصرف بمالها من دونها. وقد اختلف الرجال في بعض البلاد في كونها إنساناً ذات نفس وروح خالدة كالرجل أم لا؟ وفي كونها تلقن الدين

(١) أي: استلحقته به، وأصل اللوط: اللصوق.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٥١٢٧).

وتصح منها العبادة أم لا؟ وفي كونها تدخل الجنة أو الملكوت في الآخرة أم لا؟ فقرّر أحد المجامع في رومية أنّها حيوان نجس لا روح له ولا خلود، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة، وأن يُكَمَّم فَمُها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام؛ لأنّها أحبولة الشيطان. وكانت أعظم الشرائع تبيع للوالد بيع ابنته، وكان بعض العرب يرون أنّ للأب الحق في قتل بنته، بل في وأدها -دفنها حيّة- أيضًا، وكان منهم من يرى أنّه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية^(١). إلى غير ذلك من أنواع الظلم والاضطهاد الذي كانت تقاسيه المرأة وتتجرّع مرارته.

ولا تزال المرأة إلى يومنا هذا -في غير ظل الإسلام- تعاني أنواعًا قاسية من الأحزان المتتابة، والصدمات العنيفة، حتى إنّ بعضهنّ يتمنّين أن لو يُعاملن معاملة المرأة المسلمة.

فهذه الكاتبة الشهيرة مس أترود^(٢) تقول: «لأنّ يشغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهنّ في المعامل، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين، فيها الحشمة والعفاف

(١) «حقوق النساء في الإسلام»، لمحمد رشيد رضا (ص ٦).

(٢) نشر كلامها في جريدة (الاسترن ميل) في ١٠/ مايو/ ١٩٠١م، كما في «حقوق النساء في الإسلام»، لمحمد رشيد رضا (ص ٧٦).

والطهارة، رداء الخادمة والرقيق يتنعَّمان بأرغد عيش ويُعاملان كما يُعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء.

نعم، إنَّه لعار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثلاً للردائل بكثرة مخالطة الرجال، فما بالناس لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل على ما يوافق فطرتها الطبيعية؛ من القيام في البيت، وترك أعمال الرجال للرجال، سلامة لشرفها».

وتقول الكاتبة اللادي كوك، بجريدة أليكو^(١): «إنَّ الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة فيما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وهنا البلاء العظيم على المرأة، فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء، وتذوق مرارة الذلِّ والمهانة والاضطهاد، بل الموت أيضاً، أمَّا الفاقة: فلأنَّ الحمل وثقله والوحم ودواره من موانع الكسب الذي تحصل به قوتها، وأمَّا العناء: فهو أن تصبح شريرة حائرة لا تدري ماذا تصنع بنفسها، وأمَّا الذلِّ والعار: فأَيُّ عار بعد، وأمَّا الموت: فكثيراً ما تبخع نفسها بالانتحار وغيره.

هذا، والرجل لا يلم به شيء من ذلك، وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسؤولة وعليها التبعة، مع أنَّ عوامل الاختلاط كانت من الرجل.

(١) «حقوق النساء في الإسلام، لمحمد رشيد رضا (ص ٧٧-٧٨).

أما أن لنا أن نبحت عمّا يخفف - إذا لم نقل: عما يزيل - هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية؟ أما أن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الألوف من الأطفال الذين لا ذنب لهم، بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب، المقتضي تصديق ما يوسوس به الرجل من الوعود، ويُمْنِي من الأمان، حتى إذا قضى منها وطراً؛ تركها وشأنها تقاسي العذاب الأليم...».

وهكذا يتوالى على المرأة أنواع الشرّ والأذى والاضطهاد، وتعاني العذاب الأليم، وتتجرّع غصص العيش، وتتمنى لو أنقذت من ذلك كلّها؛ لتعيش عيشها الصحيح المتوائم مع فطرتها وتكوينها وما جبلت عليه، ويبقى الإسلام هو المنقذ الوحيد للمرأة، المخلص لها من ذلك كلّها، المحقق لها العزّ والراحة والطمأنينة.



صيانة الإسلام للمرأة

لقد جعل الإسلام للمرأة ضوابط دقيقة تنال بها عفة نفسها، وصيانة فرجها، وسلامة عرضها، فأمرها بالحجاب، ورغبها في القرار في البيت، ومنعها من التبرج والسفور، ومن الخروج وهي متعطرة، ونهاها عن الاختلاط، إلى غير ذلك من الضوابط العظيمة، ولم تؤمر بذلك كله إلا صيانة لها من الابتذال، وحماية لها من الشرّ والفساد، ولتكسب بذلك حلل الطهر والعفاف، فهي في ميزان الإسلام دُرّة ثمينة، وجوهرة كريمة، تصان من كل أذى، وتحمى من كل رذيلة.

وفيما يلي وقفة مختصرة مع أهم هذه الضوابط والآداب:

١ - الحجاب:

وذلك بأن تستر المرأة جميعَ بدنِها وزينتها عن الرجال الأجانب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٢ - أن لا تخرج إلا لحاجة:

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

[الأحزاب: ٣٣].

روى الترمذي في سننه، عن النبي ﷺ قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت؛ استشرفها الشيطان»^(١).

٣ - أن لا تخضع بالقول إن تحدثت مع أحد لحاجة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

[الأحزاب ٣٢].

٤ - أن لا تجلس في خلوة مع رجل أجنبي عنها:

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فقال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»^(٢).

٥ - أن لا تخالط الرجال:

وقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «خير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها»^(٣). هذا في المسجد، فكيف في غيره؟ وللاختلاط أخطار عديدة، وأضرار كثيرة، سبق الإشارة إلى طرف منها.

(١) أخرجه الترمذي (١١٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٣)، ومسلم (١٣٤١).

(٣) أخرجه مسلم (٤٤٠).

٦- أن لا تسافر إلا مع ذي محرم:

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يحل لامرأة أن تسافر إلا ومعها ذو محرم منها»^(١).

٧- أن لا تضع شيئاً من الطيب على ملابسها عند خروجها:

روى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «إذا شهدت إحداكن المسجد؛ فلا تمسّ طيباً»^(٢).

وروى الإمام أحمد عن النبي ﷺ قال: «أيما امرأة استعطرت، ثم خرجت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها؛ فهي زانية، وكل عين زانية»^(٣).

٨- أن لا تحاول لفت أنظار الرجال الأجانب إليها:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

٩- أن تغضّ بصرها عن النظر إلى الرجال الأجانب:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾

[النور: ٣١].

١٠- أن تحافظ على طاعة ربّها وعبادته:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤٤٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤١٨، ٤١٤/٤).

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿[الأحزاب].

وجميع هذه الضوابط وغيرها ممّا جاء في الكتاب والسنة المتعلقة بالمرأة المسلمة، تعدّ صمام أمان لها، وحارساً لشرفها وكرامتها.

ولهذا فإنّ نعمة الله على المرأة المسلمة عظيمة، ومنته عليها كبيرة جسيمة، حيث هيّأ لها في الإسلام أسباب سعادتها، وصيانة فضيلتها، وحراسة عفتها، وتثبيت كرامتها، ودرء المفساد والشرور عنها، لتبقى زكية النفس، طاهرة الخلق، منيعة الجانب، مصونة عن موارد التهلك والابتذال، محميّة عن أسباب الزيغ والانحراف والانحلال.

نعم، لقد أكرم الإسلام المرأة المسلمة أعظم إكرام، وصانها أحسن صيانة، وتكفل لها بحياة كريمة، شعارها: الستر والعفة، ودثارها: الطهر والزكاء، ورايتها: إشاعة الأدب وتثبيت الأخلاق، وغايتها: صيانة الشرف وحماية الفضيلة. وستبقى المرأة المسلمة عزيزة الجانب، رفيعة المنال، صيّنة الأخلاق؛ ما دامت متمسكةً بدينها، محافظة على أوامر ربّها، مطيعة لنيّتها ﷺ، مسلمة وجهها لله، مدعنة لشرعه وحكمه بكلّ راحة وثقة واطمئنان، فتنال بذلك السعادة والراحة في الدنيا، والثواب العظيم والأجر الجزيل يوم القيامة.

وفي الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلمها؛ دخلت من أي أبواب الجنة شاءت». رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ^(١). وروى الإمام أحمد من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها؛ قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» ^(٢).

فهنيئاً للمرأة المسلمة هذا الموعود الكريم وهذا الفضل العظيم، إذا عاشت حياتها ممثلة هذا التوجيه الكريم، غير ملتفتة إلى الهمل من الناس من دعاة الفاحشة والفتنة: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٢٧].

ومن المؤلم حقاً أن المرأة المسلمة في هذه الأزمان تتعرض لهجمات شرسة، ومؤامرات حاقدة، ومخططات آثمة، تستهدف الإطاحة بعفتها، وهتك شرفها، ودك كرامتها، وواد فضيلتها، وخلخلة دينها وإيمانها، وإلحاقها بركب العواهر والفاجرات، وذلك من خلال: قنوات فضائية مدمرة، ومجلات خليعة هابطة، وشغلها بأنواع من الألبسة الكاسية العارية، وتهيج قلبها إلى حب

(١) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (٤١٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (١/١٩١).

التشبه بغير المسلمات مِمَّن يمشين على الأرض دون إيمان يردع، أو خلق يزَع، أو أدب يمنع، وجرها من وراء ذلك إلى منابذة الشريعة، وجر أذيال الرذيلة، والبعد عن منابع العفة والفضيلة، لا مكنهم الله مِمَّا يريدون.



بیان مهم

في الوقت الذي يهتف فيه بعض مرضى النفوس وأرباب الشهوات مِمَّن لا يبالون بالضوابط الشرعية والحدود المرعية، التي تحقق للمرأة كرامتها، وتكفل لها عزّها وسعادتها، مطالبين لها بحقوق مزعومة، وحرّيات محمومة، تجرّ المرأة إلى أذيال لا تدرك عاقبتها، ومهاوٍ لا تعلم شرّها وخطرّها، تحت رايات برّاقة وشعارات أخاذة، مستغلين عواطف المرأة وسرعة استجابتها، وقصور نظرها في العواقب.

في هذا الوقت تأتي كلمات أهل العلم الناصحين، والدعاة الصادقين، والمحتسبين الغيورين آخذة بُحْز المرأة عن السقوط في هذه المهاوي، والارتكاس في هذه السبل؛ حفاظاً على كرامتها ولتبقى عزيزة الجانب، صيّنة الأكناف، حسنة السيرة، بعيدة عن التلوث بأوضار الفساد، وإن من أنفع ما ينبغي أن تقف عليه المرأة في هذا الباب البيان الصادر بهذا الخصوص عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في: ٢٥ / ١ / ١٤٢٠هـ، وفيما يلي نصّه:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فمِمَّا لا يخفى على كلّ مسلم بصير بدينه ما تعيشه المرأة

المسلمة تحت ظلال الإسلام - وفي هذه البلاد خصوصًا - من كرامة وحشمة وعمل لائق بها، ونيل لحقوقها الشرعية التي أوجبها الله لها، خلافاً لما كانت تعيشه في الجاهلية، وتعيشه الآن في بعض المجتمعات المخالفة لأداب الإسلام من تسيب وضياع وظلم.

وهذه نعمة نشكر الله عليها، ويجب علينا المحافظة عليها، إلا أن هناك فئات من الناس ممن تلوّث ثقافتهم بأفكار الغرب، لا يرضيهم هذا الوضع المشرف الذي تعيشه المرأة في بلادنا؛ من حياء، وستر، وصيانة، ويريدون أن تكون مثل المرأة في البلاد الكافرة والبلاد العلمانية، فصاروا يكتبون في الصحف، ويطالبون باسم المرأة بأشياء تتلخص في:

١ - هتك الحجاب الذي أمرها الله به في قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ قُلْ لَأَزُوجَكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ويقول: ﴿تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ الآية [النور: ٣١]، وقول عائشة ؓ في قصة تخلفها عن الركب ومرور صفوان بن معطل ؓ عليها وتخميمها لوجهها لما أحسّت به قالت: (و كان قد رأي قبل الحجاب)، وقولها: (كنّا مع النبي ﷺ ونحن محرمات، فإذا مر بنا الرجال سدّلت إحدانا خمارها على وجهها، فإذا جاوزونا

كشفناه). إلى غير ذلك، ممّا يدلّ على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة من الكتاب والسنة، ويريد هؤلاء منها أن تخالف كتاب ربها وسنة نبيها، وتصبح سافرة يتمتع بالنظر إليها كلّ طامع وكلّ من في قلبه مرض.

٢- ويطالبون بأن تمكّن المرأة من قيادة السيارة، رغم ما يترتب على ذلك من مفسد، وما يعرضها له من مخاطر، لا تخفى على ذي بصيرة.

٣- ويطالبون بتصوير وجه المرأة، ووضع صورتها في بطاقة خاصة بها تتداولها الأيدي، ويطمع فيها كلّ من في قلبه مرض، ولا شكّ أنّ ذلك وسيلة إلى كشف الحجاب.

٤- ويطالبون باختلاط المرأة والرجال، وأن تتولّى الأعمال التي هي من اختصاص الرجال، وأن تترك عملها اللائق بها والمتلائم مع فطرتها وحشمتها، ويزعمون أنّ في اقتصرها على العمل اللائق بها تعطيلاً لها.

ولا شكّ أنّ ذلك خلاف الواقع، فإنّ توليتها عملاً لا يليق بها هو تعطيّلها في الحقيقة، وهذا خلاف ما جاءت به الشريعة؛ من منع الاختلاط بين الرجال والنساء، ومنع خلو المرأة بالرجل الذي لا تحلّ له، ومنع سفر المرأة بدون محرم، لما يترتب على هذه الأمور من المحاذير التي لا تحمد عقباها.

ولقد منع الإسلام من الاختلاط بين الرجال والنساء حتى في مواطن العبادة، فجعل موقف النساء في الصلاة خلف الرجال، ورغب في صلاة المرأة في بيتها، فقال النبي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن». كل ذلك من أجل المحافظة على كرامة المرأة وإبعادها عن أسباب الفتنة.

فالواجب على المسلمين أن يحافظوا على كرامة نسائهم، وأن لا يلتفتوا إلى تلك الدعايات المضللة، وأن يعتبروا بما وصلت إليه المرأة في المجتمعات التي قبلت مثل تلك الدعايات وانخدعت بها، من عواقب وخيمة، فالسعيد من وعظ بغيره، كما يجب على ولاية الأمور في هذه البلاد أن يأخذوا على أيدي هؤلاء السفهاء، ويمنعوا من نشر أفكارهم السيئة؛ حماية للمجتمع من أثارها السيئة وعواقبها الوخيمة، فقد قال النبي ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء». وقال عليه الصلاة والسلام: «واستوصوا بالنساء خيرا». ومن الخير لهن: المحافظة على كرامتهن وعفتهن، وإبعادهن عن أسباب الفتنة.

وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

ثم ذيل بتوقيع أعضاء اللجنة، وهم: سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز، وسماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ عبدالله

الغديان، والشيخ بكر أبو زيد، والشيخ صالح الفوزان، أحسن الله للجميع، وجزاهم خير الجزاء، ونفع بجهودهم، وبارك في أعمالهم. وكان تاريخ صدور هذا البيان كما سبق في: ٢٥ / ١ / ١٤٢٠ هـ أي قبل وفاة سماحة الشيخ ابن باز بيومين، وفي هذا دلالة على عظم نصحه وتمام إرشاده إلى آخر أيام حياته:، وهو بمثابة وصية المودّع من هذا الإمام الناصح، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء، وجعل جنة الفردوس الأعلى مأواه.

وكذلك من الفتاوى الصادرة عن اللجنة العلمية للإفتاء بهذا الشأن، والتي ينبغي على المرأة المسلمة الناصحة لنفسها تأملها والإفادة منها: فتوى صدرت عن اللجنة بتاريخ ٩ / ٣ / ١٤٢١ هـ بشأن وضع المرأة العبادة على الكتف وصفة العبادة الشرعية للمرأة^(١).

وفيما يلي نصّها:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد: فقد اطّلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من المستفتي... والمحال إلى اللجنة من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برقم (٩٣٤) وتاريخ ١٢ / ٢ / ١٤٢١ هـ، وقد سأل المستفتي سؤالاً هذا نصه:

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٧ / ١٣٩ - ١٤١).

(فقد انتشر في الآونة الأخيرة عباءة مفصّلة على الجسم وضيقة، وتتكون من طبقتين خفيفتين من قماش الكريب، ولها كم واسع، وبها فصوص وتطريز، وهي توضع على الكتف. فما حكم الشرع في مثل هذه العباءة؟ أفتونا مأجورين، ونرغب -حفظكم الله- بمخاطبة وزارة التجارة لمنع هذه العباءة وأمثالها).

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بأن العباءة الشرعية للمرأة وهي «الجلباب»، هي ما تحققّ فيها قصد الشارع؛ من كمال السر والبعد عن الفتنة، وبناء على ذلك فلا بد لعباءة المرأة أن تتوافر فيها الأوصاف الآتية:

أولاً: أن تكون سميكة، لا تظهر ما تحتها، ولا يكون لها خاصية الالتصاق.

ثانياً: أن تكون ساترة لجميع الجسم، واسعة لا تبدي تقاطيعه.
ثالثاً: أن تكون مفتوحة من الأمام فقط، وتكون فتحة الأكمام ضيقة.

رابعاً: ألا يكون فيها زينة تلفت إليها الأنظار، وعليه فلا بد أن تخلو من الرسوم والزخارف والكتابات والعلامات.

خامساً: ألا تكون مشابهة للباس الكافرات أو الرجال.

سادساً: أن توضع العباءة على هامة الرأس ابتداء.

وعلى ما تقدم: فإن العباءة المذكورة في السؤال ليست عباءة

شرعية للمرأة، فلا يجوز لبسها؛ لعدم توافر الشروط الواجبة فيها، ولا لبس غيرها من العباءات التي لم تتوافر فيها الشروط الواجبة، ولا يجوز كذلك استيرادها، ولا تصنيعها، ولا بيعها وترويجها بين المسلمين؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، والله -جل وعلا- يقول: ﴿وَعَاوِثُوا عَلَى آلِهِ وَالتَّقَوُّىْ وَلَا تَعَاوِثُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوْنَ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

واللجنة إذ تبين ذلك، فإنها توصي نساء المؤمنين بتقوى الله تعالى، والتزام الستر الكامل للجسم بالجلباب، والخمار عن الرجال الأجانب؛ طاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وبعدا عن أسباب الفتنة والافتتان.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.
ثم ذيلت بتوقيع أعضاء اللجنة، وهم: فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان، وفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

بيان صدر عن اللجنة بتاريخ ٢٥ / ١ / ١٤٢١ هـ بشأن لباس المرأة عند محارمها ونسائها^(١).
وفيما يلي نصه:

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (١٧ / ٢٩٠ - ٢٩٤).

(الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد كانت نساء المؤمنين في صدر الإسلام قد بلغن الغاية في الطهر والعفة، والحياء والحشمة، ببركة الإيمان بالله ورسوله، واتباع القرآن والسنة، وكانت النساء في ذلك العهد يلبسن الثياب الساترة، ولا يعرف عنهن التكشف والتبذل عند اجتماعهن ببعضهن أو بمحارمهن، وعلى هذه السُّنة القويمة جرى عمل نساء الأمة - ولله الحمد - قرناً بعد قرن إلى عهد قريب، فدخل في كثير من النساء ما دخل من فساد في اللباس والأخلاق لأسباب عديدة، ليس هذا موضع بسطها.

ونظراً لكثرة الاستفتاءات الواردة إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حدود نظر المرأة إلى المرأة، وما يلزمها من اللباس، فإن اللجنة تبين لعموم نساء المسلمين أنه يجب على المرأة أن تتخلق بخلق الحياء، الذي جعله النبي ﷺ من الإيمان وشعبة من شعبه، ومن الحياء المأمور به شرعاً وعرفاً: تستر المرأة واحتشامها وتخلقها بالأخلاق التي تبعتها عن مواقع الفتنة ومواضع الريبة.

وقد دل ظاهر القرآن على أن المرأة لا تبدي للمرأة إلا ما تبديه لمحارمها، مما جرت العادة بكشفه في البيت، وحال المهنة

كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِيكَ زِينَتُهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
 أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَنِهِنَّ أَوْ بَنِي
 إِخْوَنِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ الآية، وإذا كان هذا هو نص
 القرآن وهو ما دلت عليه السنة، فإنه هو الذي جرى عليه عمل
 نساء الرسول ﷺ، ونساء الصحابة، ومن اتبعهن بإحسان من نساء
 الأمة إلى عصرنا هذا. وما جرت العادة بكشفه للمذكورين في
 الآية الكريمة هو: ما يظهر من المرأة غالبا في البيت، وحال المهنة،
 ويشق عليها التحرز منه؛ كانكشاف الرأس واليدين والعنق
 والقدمين، وأما التوسع في التكشف فعلاوة على أنه لم يدل على
 جوازه دليل من كتاب أو سنة- هو أيضا طريق لفتنة المرأة
 والافتتان بها من بنات جنسها، وهذا موجود بينهن، وفيه أيضا
 قدوة سيئة لغيرهن من النساء، كما أن في ذلك تشبها بالكافرات
 والبغايا الماجنات في لباسهن، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:
 «من تشبه بقوم فهو منهم». أخرجه الإمام أحمد وأبو داود. وفي
 صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ رأى عليه ثوبين
 معصفرين، فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها». وفي
 صحيح مسلم -أيضا- أن النبي ﷺ قال: «صنفان من أهل النار
 أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء
 كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت

المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». ومعنى: «كاسيات عاريات» هو: أن تكتسي المرأة ما لا يسترها فهي كاسية، وهي في الحقيقة عارية، مثل من تلبس الثوب الرقيق الذي يشف بشرتها، أو الثوب الضيق الذي يبيد تقاطيع جسمها، أو الثوب القصير الذي لا يستر بعض أعضائها.

فالمتعين على نساء المسلمين: التزام الهدي الذي كان عليه أمهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهن ومن اتبعهن بإحسان من نساء هذه الأمة، والحرص على التستر والاحتشام، فذلك أبعد عن أسباب الفتنة، وصيانة للنفس عما تثيره دواعي الهوى الموقع في الفواحش.

كما يجب على نساء المسلمين الحذر من الوقوع فيما حرمه الله ورسوله من الألبسة التي فيها تشبه بالكافرات والعاهرات؛ طاعة لله ورسوله، ورجاء لثواب الله، وخوفاً من عقابه.

كما يجب على كل مسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته من النساء، فلا يتركهن يلبسن ما حرمه الله ورسوله من الألبسة الخالعة، والكاشفة والفاتنة، وليعلم أنه راع ومسؤول عن رعيته يوم القيامة.

نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يهدينا جميعاً سواء

السبيل، إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

ثم ذيل بتوقيع أعضاء اللجنة وهم: فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن محمد آل الشيخ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان، وفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

بيان من اللجنة بشأن المجلات الخليعة ومخاطرها^(١)، وفيما يلي نصّه:

(الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد: فقد أصيب المسلمون في هذا العصر بمحن عظيمة، وأحاطت بهم الفتن من كل جانب، ووقع كثير من المسلمين فيها، وظهرت المنكرات، واستعلن الناس بالمعاصي بلا خوف ولا حياء، وسبب ذلك كله: التهاون بدين الله، وعدم تعظيم حدوده وشريعته، وغفلة كثير من المصلحين عن القيام بشرع الله، والأمر المعروف والنهي عن المنكر، وإنه لا خلاص للمسلمين، ولا نجاة لهم من هذه المصائب والفتن إلا بالتوبة الصادقة إلى الله تعالى، وتعظيم أوامره ونواهيه، والأخذ على أيدي السفهاء، وأطرهم على الحق أطرا.

(١) «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (١٧/ ١١٧ - ١٢٣).

وإن من أعظم الفتن التي ظهرت في عصرنا هذا ما يقوم به تجار الفساد، وسماسرة الرذيلة، ومحبو إشاعة الفاحشة في المؤمنين: من إصدار مجلات خبيثة تحاد الله ورسوله في أمره ونهيه، فتحمل بين صفحاتها أنواعا من الصور العارية، والوجوه الفاتنة المثيرة للشهوات، العجالة للفساد، وقد ثبت بالاستقراء: أن هذه المجلات مشتملة على أساليب عديدة في الدعاية إلى الفسوق والفجور، وإثارة الشهوات، وتفريغها فيما حرمه الله ورسوله، ومن ذلك أن فيها:

- ١- الصور الفاتنة على أغلفة تلك المجلات وفي باطنها.
- ٢- النساء في كامل زينتهن يحملن الفتنة ويغرين بها.
- ٣- الأقوال الساقطة الماجنة، والكلمات المنظومة والمثورة، البعيدة عن الحياء والفضيلة الهادمة للأخلاق المفسدة للأمة.
- ٤- القصص الغرامية المخزية، وأخبار الممثلين والممثلات، والراقصين والراقصات، من الفاسقين والفاسقات.
- ٥- في هذه المجلات الدعوة الصريحة إلى التبرج والسفور، واختلاط الجنسين، وتمزيق الحجاب.
- ٦- عرض الألبسة الفاتنة الكاسية العارية على نساء المؤمنين؛ لإغرائهن بالعري والخلاعة، والتشبه بالبغايا والفاجرات.
- ٧- في هذه المجلات العناق والضم والقبلات بين الرجال

والنساء.

٨- في هذه المجالات المقالات الملتهبة، التي تثير موات الغريزة الجنسية في نفوس الشباب والشابات، فتدفعهم بقوة لیسلكوا طريق الغواية والانحراف، والوقوع في الفواحش والآثام والعشق والغرام. فكم شغف بهذه المجالات السامة من شباب وشابات، فهلكوا بسببها، وخرجوا عن حدود الفطرة والدين. ولقد غيرت هذه المجالات في أذهان كثير من الناس كثيرا من أحكام الشريعة، ومبادئ الفطرة السليمة بسبب ما تبثه من مقالات ومطارات. واستمرأ كثير من الناس المعاصي والفواحش، وتعدى حدود الله بسبب الركون إلى هذه المجالات، واستيلائها على عقولهم وأفكارهم.

والحاصل: أن هذه المجالات قوامها التجارة بجسد المرأة، التي أسعفها الشيطان بجميع أسباب الإغراء ووسائل الفتنة؛ للوصول إلى نشر الإباحية، وهتك الحرمات، وإفساد نساء المؤمنين، وتحويل المجتمعات الإسلامية إلى قطعان بهيمية، لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا، ولا تقيم لشرع الله المطهر وزنا، ولا ترفع به رأسا، كما هو الحال في كثير من المجتمعات، بل وصل الأمر ببعضها إلى التمتع بالجنسين عن طريق العري الكامل فيما يسمونه: (مدن العراة) عياذا بالله من انتكاس الفطرة، والوقوع

فيما حرمه الله ورسوله.

هذا وإنه بناء على ما تقدم ذكره من واقع هذه المجلات، ومعرفة آثارها وأهدافها السيئة، وكثرة ما يرد إلى اللجنة من تدمير الغيورين من العلماء وطلبة العلم، وعامة المسلمين من انتشار عرض هذه المجلات في المكتبات والبقالات والأسواق التجارية- فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ترى ما يلي:

أولاً: يحرم إصدار مثل هذه المجلات الهابطة، سواء كانت مجلات عامة، أو خاصة بالأزياء النسائية، ومن فعل ذلك فله نصيب من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ الآية.

ثانياً: يحرم العمل في هذه المجلات على أي وجه كان، سواء كان العمل في إدارتها، أو تحريرها، أو طباعتها، أو توزيعها؛ لأن ذلك من الإعانة على الإثم والباطل والفساد، والله -جل وعلا- يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾.

ثالثاً: تحرم الدعاية لهذه المجلات وترويجها بأية وسيلة؛ لأن ذلك من الدلالة على الشر والدعوة إليه، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». أخرجه مسلم في صحيحه.

رابعاً: يحرم بيع هذه المجلات، والكسب الحاصل من ورائها

كسب حرام، ومن وقع في شيء من ذلك وجب عليه التوبة إلى الله تعالى، والتخلص من هذا الكسب الخبيث.

خامسا: يحرم على المسلم شراء هذه المجلات واقتناؤها؛ لما فيها من الفتنة والمنكرات، كما إن في شرائها تقوية لنفوذ أصحاب هذه المجلات، ورفعاً لرصيدهم المالي، وتشجيعاً لهم على الإنتاج والترويج، وعلى المسلم أيضاً أن يحذر من تمكين أهل بيته -ذكورا وإناثا- من هذه المجلات؛ حفظاً لهم من الفتنة والافتتان بها، وليعلم المسلم أنه راع ومسئول عن رعيته يوم القيامة.

سادسا: على المسلم أن يغض بصره عن النظر في تلك المجلات الفاسدة؛ طاعة لله ولرسوله ﷺ، وبعدا عن الفتنة ومواقعها، وعلى الإنسان ألا يدعي العصمة لنفسه، فقد أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وقال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: كم نظرة أُلقت في قلب صاحبها البلاء، فمن تعلق بما في تلك المجلات من صور وغيرها أفسدت عليه قلبه وحياته، وصرفته إلى ما لا ينفعه في دنياه وآخرته؛ لأن صلاح القلب وحياته إنما هو في التعلق بالله جل جلاله، وعبادته وحلاوة مناجاته، والإخلاص له، وامتلاؤه بحبه سبحانه.

سابعا: يجب على من ولاه الله على أي من بلاد الإسلام أن ينصح للمسلمين، وأن يجنبهم الفساد وأهله، ويباعدهم عن كل

ما يضرهم في دينهم وديناهم، ومن ذلك منع هذه المجالات المفسدة من النشر والتوزيع، وكف شرها عنهم، وهذا من نصر الله ودينه، ومن أسباب الفلاح والنجاح والتمكين في الأرض، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ذَكِيٌّ (٤١) ﴿٤١﴾

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ثم ذيل بتوقيع أعضاء اللجنة وهم: فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن محمد آل الشيخ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان، وفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، وفضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

وبهذا نختم هذه الرسالة، ونسأل الله جلّ وعلا أن يُصلح بنات المسلمين ونساءهم، وأن يُجَنِّبَهُنَّ الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٣
أصول مهمة.....	٧
من هي المرأة.....	١٢
ما حقيقة تكريم الإنسان.....	١٥
كرامة المرأة في الإسلام.....	١٩
من هدايات القرآن في الإحسان إلى المرأة.....	٢٣
الحفاوة بالمرأة في ظل الإسلام.....	٢٩
الغيرة على المرأة المسلمة.....	٣٨
الإسلام منقذ للمرأة.....	٤١
صيانة الإسلام للمرأة.....	٤٦
بيان مهم.....	٥٢
الفهرس.....	٦٩



سَيِّئَاتُ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ

الرِّسَالَةُ السَّانِيَّةُ :

مَوْعِظَةٌ لِلنِّسَاءِ

تَأَلَّفَ

عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْبَدْرُ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي منّ علينا بالقرآن، وهدانا للإيمان، وشرح صدورنا للإسلام، وجعلنا من أمة مُحَمَّدٍ ﷺ خير الأنام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المَلِكُ العَلَامُ، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبْدُهُ ورسوله، وَصَفِيَّه وخليته خير الأنام، صَلَّى اللهُ وَسَلَّم عليه وعلى آله وصحبه الكرام.

أمّا بعد؛ فهذه رسالةٌ حَوَتْ جملةً من النِّصائِحِ والتَّوجِيهاتِ تخصُّ المرأةَ المسلمةَ، وأصل كثيرٍ منها خطبٌ ألقيتها في أوقاتٍ متفاوتةٍ، أشار بعضُ الأفاضل أن تطبَعَ مجتمعةً؛ رجاء أن ينفع الله بها.

وقد كان من هَدْيِ نبيِّنا الكريم ﷺ: تخصيصُ النساءِ بالوعظ والتذكير، كما في «البخاري»^(١) عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ، فَوَعظَهُنَّ، وَذَكَرَهُنَّ، وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ». قال الحافظ ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد: استحبابُ وعظِ النساءِ، وتعليمهنَّ أحكامَ

الإسلام، وتذكيرهنّ بما يجبُ عليهنّ»^(١).

وقد سمّيت هذه الوصايا والنصائح: «موعظة النساء».

والله المرجوّ وحده أن يوفّق نساء المسلمين وبناتهنّ لكلّ خيرٍ وصلاحٍ وعزٍّ ورفعَةٍ، وأن يجنّبهنّ مُضِلَّاتِ الفتنِ ما ظهر منها وما بطن، إنّه سميعٌ مجيبٌ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت، وإليه أنيب، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وآله وصحبه.



(١) «فتح الباري» (٢/٤٦٨).

أصول عظيمة

يا أَيَّتُهَا الْمُؤَقَّة: طَيَّبَ اللهُ حَيَاتَكَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَطَيَّبَ أَوْقَاتَكَ بِالطَّاعَةِ وَالْإِحْسَانِ، وَطَيَّبَ بَدَنَكَ بِالسَّتْرِ وَالْإِحْتِشَامِ؛ هَذِهِ وَصِيَّةٌ أَهْدِيهَا لَكَ رَاجِيًا مِنَ اللهِ ﷻ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهَا، وَلَا سِيَّما أَنْكَ فِي مَوْضِعِ أَنْتَ فِيهِ قَدَوَةٌ فِي الْخَيْرِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَشْعِرِي - أَيَّتُهَا الْفَاضِلَةُ - أَنَّ نِعْمَةَ اللهِ ﷻ عَلَيْكَ بِهَذَا الدِّينِ عَظِيمَةٌ وَمَتَّةٌ عَلَيْكَ بِالْهُدَايَةِ إِلَيْهِ كَبِيرَةٌ؛ فَهُوَ الدِّينَ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ وَكَمَّلَهُ لَهُمْ وَلَا يَقْبَلُ جَلَّ وَعَلَا مِنْهُمْ دِينًا سِوَاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [التَّوْبَةُ : ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٥) ﴿سُورَةُ التَّوْبَةِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [التَّوْبَةُ : ٣]، نَعَمْ، إِنَّهُ الدِّينَ الَّذِي أَصْلَحَ اللهُ بِهِ الْعُقَائِدَ وَالْأَخْلَاقَ، وَأَصْلَحَ بِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَزَيَّنَ بِهِ ظَاهِرَ الْمَرْءِ وَبَاطِنَهُ، وَخَلَّصَ بِهِ مَنْ اعْتَنَقَهُ وَتَمَسَّكَ بِهِ مِنْ بَرَاثِنِ الْبَاطِلِ وَمَهَاوِي الرَّذِيلَةِ وَمُنْزَلَقَاتِ الْإِنْحِرَافِ وَالضَّلَالِ، إِنَّهُ الدِّينَ الْعَظِيمُ الْمُبَارَكُ الْمُثْمَرُ لِلْخَيْرَاتِ الْمُبَارَكَاتِ وَالثَّمَارِ النَّافِعَاتِ الَّتِي تَعُودُ عَلَى الْمُسْتَمْسِكِ بِهِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ.

ولا بدّ في هذا المقام - أيّتها الأخت الفاضلة - من تذكّر واستحضار جملة من الأصول العظيمة، تعيين متأمّلها على لزوم هدايات الدّين وتوجيهاته العظيمة، وتلقّيها بالقبول وانسراح الصّدر والرّضا، وتنير للمرأة المسلمة طريقها، وتسدّد لها بإذن الله تبارك وتعالى مسارها إن وُفّقت للعِلم بها والأخذ بها، ولعلّي أنبه على أهمّ هذه الأصول وأعظمها، راجياً من الله ﷻ أن ينفعك بها.

* **أولاً:** عليك أن تعلّمي علم اليقين أنّ أحسن الأحكام وأقومها وأكملها وأجملها؛ أحكام ربّ العالمين، وخالق الخلق أجمعين، تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [سورة النّازعات]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ٨﴾ [سورة النّازعات]، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ٩﴾ [سورة النّازعات]، فإذا أيقنت المسلمة بذلك؛ لم تتردّد في قبول أيّ حكم يبلغها ممّا حكم وأمر به الله جلّ وعلا.

* **الأمر الثاني:** عليك أن تدركي أنّ سعادتك وكرامتك مرتبطة تمام الارتباط بهذا الدّين، وبالطّاعة لربّ العالمين، والتزام أحكامه وشرّعه، وأنّ حظّك ونصيبك من السّعادة بحسب حظّك ونصيبك من الطّاعة والالتزام، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَجَتَبَوُا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ٣١﴾ [سورة النّساء]، وقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ دَكَّهَا ١﴾ [سورة النّازعات]، وقد خاب من دسّها ﴿١٠﴾ [سورة النّساء]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

* الأمر الثالث: عليك التَّنبّه - وفَّقك الله - إلى أن المسلمة لها في هذه الحياة أعداءٌ كثير يسعون للإطاحة بكرامتها، وخلْعة سبيل عزّها وفلاحها وسعادتها وإيقاعها في حمأة الرذيلة والفساد، ويقدمون في سبيل ذلك كلّ ما يستطيعون، ويأتي في مُقدِّمة هؤلاء الأعداء الشَّيْطان عدوّ الله وعدوّ الدِّين وعدوّ عباده المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ: ٦]، فالواجبُ الحذرُ كلّ الحذر من هؤلاء الأعداء الذين غايتهم وأكبر مُنيّتهم أن تتحلَّل المرأة المسلمة من أخلاقها وآداب دينها، وأسباب عزّها وفلاحها في الدُّنيا والآخرة.

* الأمر الرابع: عليك - آيتُها المُوفِّقة - أن تؤمّني إيمانًا جازمًا أن التَّوفيق والصَّلاح والاستقامة وتحقُّق الخير والبركة والكرامة بيد الله جلّ وعلا، فهو الَّذي بيده أزمّة الأمور ومقَاليد السَّمَوَات والأَرْض؛ فمَنْ أعزّه الله فهو العزيز، ومَنْ أذلّه الله تبارك وتعالى فهو المُهان، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ: ١٨]؛ ولهذا عليك في هذا المقام أن تقوِّي صِلَتِكَ بالله، وأن تلجئي إلى الله ﷻ دومًا وأبدًا، سائلةً الهداية والتَّوفيق والثَّبات على الدِّين، وأن يسلمك من الفتن، وأن يُصلح لك دينك، وأن يعيذك من الشرور، وأن يجنبك مَوَاطِنَ الرِّيب والفساد، ومَنْ أقبل على الله بصدقٍ ودعاه ورجاه؛ حقَّق الله ﷻ له

مُرَادَهُ، وَيَسَّرَ لَهُ مُبْتَغَاهُ، وَمِنْ عَظِيمِ الدَّعَاءِ: «اللَّهُمَّ أَصْلَحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلَحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلَحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(١).

* الأمر الخامس: أن يكون أكبرُ اهتمامكِ - أَيَّتُهَا الْمُؤَفَّقَةُ - في هذه الحياة أن تحظِّي بنيل الكرامة عند الله، وأن تفوزي بالسَّعادة برضا الله ﷻ، وأن تسعدي بما أعدّه الله ﷻ لعباده المُكْرَمِينَ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُكْرَمُونَ﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ: ٣٥]؛ فتلِك هي الكرامة الحقيقيَّة، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الْمَائِدَةُ: ١٣]، وفي «الصَّحِيح» عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ»^(٢). فَمَنْ ابْتَغَى الْكَرَامَةَ مِنْ غَيْرِ هَذَا السَّبِيلِ؛ فَإِنَّمَا يَرْكُضُ فِي سَرَابٍ، وَيَسْعَى فِي سَبِيلِ خِيبةٍ وَخَسْرَانٍ وَتَبَابٍ.

* الأمر السَّادِس: عَلَيْكِ أَنْ تَعْلَمِي - أَيَّتُهَا الْمُؤَفَّقَةُ - أَنَّ أَحْكَامَ الشَّرْعِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْمَرْأَةِ شَأْنُهَا كَشَأْنِ أَحْكَامِ الدِّينِ كُلِّهَا؛ مُحْكَمَةٌ غَايَةُ الْإِحْكَامِ، مُتَقَنَّةٌ غَايَةُ الْإِتْقَانِ، لَا نَقْصَ فِيهَا وَلَا خَلَلَ، وَلَا ظَلَمَ فِيهَا وَلَا زَلَلَ، كَيْفَ لَا! وَهِيَ أَحْكَامُ خَيْرِ الْحَاكِمِينَ، وَتَنْزِيلُ

(١) أخرجه مسلم (٧٠٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٤).

رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ، الْبَصِيرُ بِعِبَادِهِ، الْعَلِيمُ بِمَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ وَفَلَاحُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْعُدْوَانِ وَأَشَدِّ الْإِثْمِ وَالْهَوَانِ؛ أَنْ يُقَالَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمَرْأَةِ أَوْ غَيْرِهَا: إِنَّ فِيهَا ظُلْمًا أَوْ هَضْمًا أَوْ إِجْحَافًا أَوْ زَلَالًا، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ أَوْ شَيْئًا مِنْهُ فَمَا قَدَرَ رَبَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَا وَقَرَهُ ﷻ حَقَّ تَوْقِيرِهِ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) [سورة النحل: ١٣] أَي: لَا تَعَامِلُونَهُ مَعَامِلَةً مَنْ تَوْقَرُونَهُ، وَالتَّوْقِيرُ: التَّعْظِيمُ؛ وَمَنْ تَوْقِيرُهُ سُبْحَانَهُ: أَنْ تَلْتَزِمَ أَحْكَامَهُ، وَتَطَاعَ أَوَامِرَهُ، وَيُعْتَقِدَ أَنَّ فِيهَا السَّلَامَةَ وَالْكَمَالَ وَالرَّفْعَةَ، وَمَنْ اعْتَقَدَ فِيهَا خِلَافَ ذَلِكَ؛ فَمَا أَبْعَدَهُ عَنِ الْوَقَارِ! وَمَا أَجْدَرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِالْخِزْيِ وَالْعَارِ! فَلَنَتَّقِ اللَّهَ، وَلْنُعْظِمَ أَحْكَامَ اللَّهِ ﷻ، ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢) [سورة الحج: ٣٢].

هذه بعض التَّأْصِيلَاتِ الْمُهِمَّةِ وَالضَّوَابِطِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَسْسِ الْمَتِينَةِ الَّتِي نَحْتَاجُ أَنْ نَتَذَكَّرَهَا دَائِمًا؛ لِنَكُونَنَّ قُلُوبُنَا، وَتَرْتَاضَ نَفُوسُنَا، وَلِنَقْبَلَ أَحْكَامَ اللَّهِ ﷻ كُلَّهَا بِانْشِرَاحِ صَدْرِ وَطَمَإِينَةِ نَفْسٍ وَإِقْبَالٍ عَلَى أَحْكَامِهِ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - الَّتِي هِيَ سَبَبُ السَّعَادَةِ وَسَبِيلُ الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

ثُمَّ - أَتَيْتِهَا الْمُؤَفَّقَةُ - عِنْدَمَا جَاءَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِتِلْكَ الْأَحْكَامِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْمَرْأَةِ؛ كَالْحِجَابِ، وَالْحَشَمَةِ، وَالْقَرَارِ فِي الْبُيُوتِ،

والحذر من الاختلاط إلى غير ذلك - ممّا سيأتي الإشارة إليه - جاء بها صيانةً للمرأة، وحفظاً لها، ووقايةً لشرفها ومكاتها، وحمايةً لها من الشرّ والفساد، ولتُكسى بتلك الضوابط حلّ الطهر والعفاف، فالمرأة في ميزان الإسلام دُرّةٌ ثمينةٌ وجوهرةٌ كريمةٌ، تصان من كلّ أذى، وتحمى من كلّ رذيلة؛ فما أعظم أحكام ديننا، وما أجلّ شأنها، وما أعظم بركتها، وما أحسن عوائدها لمن وفقه الله ﷻ للالتزام بها؛ وأمّا من تخلى عن ضوابط الدين وتوجيهاته الحكيمة، زعمًا منه أنّها تعوق عن المصالح، أو أنّه يترتب عليها مفسد أو أضرار، أو أنّها جنايةٌ على المرأة، إلى غير ذلك ممّا يُقال، فهذا كله من التّجنيّ العظيم، والقول على الله وعلى كلامه وعلى وحيه وحكمه بغير علم، ومن أعظم المحرّمات وأكبر الآثام؛ القول على الله ﷻ بلا علم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الشورى: ٢٢].

أيتها الأخت الموفّقة: عندما تقرئين آيةً من كتاب الله وحديثاً عن رسول الله ﷺ، مشتّماً على توجيهه يختصّ بالمرأة، فاسمعي الآية بتدبّر وطمأنينة وتقبّل وانسراح صدر؛ لأنّ الكلام الذي تسمعينه هو كلام من خلقك ﷻ وأوجدك وأمدك بالسمع والبصر والحواس والقوى والنعم، والفرق بين كلامه وكلام خلقه كالفرق بينه وبين خلقه ﷻ؛ فإنّك ثمّ إياك أن يكون في صدرك وحشة أو نفرة

أو انقباض من توجهات ربِّ العالمين. وهكذا الشأن في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [٦٥]، والعمل بأحاديثه - عليه الصلاة والسلام - عمل بالقرآن؛ لأنَّ الله جلَّ وعلا قال في القرآن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَمَا نَهَيْتُكَ عَنْهُ فَانْهَوُا﴾ [البقرة: ١٧].

روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ، وَالْمُوتَشِمَاتِ، وَالْمُتَمَصِّصَاتِ، وَالْمُتَقَلِّبَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغْيِرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ». فبلغ ذلك امرأة من بني أسدٍ يقال لها: أمُّ يَعْقُوبَ، فجاءت، فقالت: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ؟ فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله؟! فقالت: لقد قرأت ما بين اللّوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأتِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَمَا نَهَيْتُكَ عَنْهُ فَانْهَوُا﴾؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه^(١).

وقد قال الله لأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]؛ والحكمة: هي السُّنَّة المأثورة عن النَّبِيِّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

أَيَّتْهَا الْأَخْتُ الْكَرِيمَةُ الْفَاضِلَةُ: إِنَّ سَعَادَتَكَ مُرْتَبِطَةٌ بِهَذَا الدِّينِ، وَبِالتَّزَامِ تَوْجِيهَاتِهِ الْحَكِيمَةِ وَأَدَابِهِ الْكَرِيمَةِ وَإِرْشَادَاتِهِ السَّدِيدَةِ، الَّتِي هِيَ عِزُّ الْمَرْأَةِ وَفَلَاحُهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَبْحَثِينَ عَنِ الْجَمَالِ الْحَقِيقِيِّ وَالزَّيْنَةِ التَّامَّةِ، فَاعْلَمِي أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَلْيَأْسُ النَّفْسُ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [النساء: ٢٦]، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ أَلَا يَمَنُ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [النساء: ٧]، وَفِي الدَّعَاءِ الْمَأْثُورِ: «اللَّهُمَّ زَيْنَا بِزَيْنَةِ الْإِيمَانِ»^(١). فَالْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى وَالِاتِّزَامُ بِشَرَعِ اللَّهِ ﷻ وَأَحْكَامِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ هُوَ الزَّيْنَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، وَهُوَ الْجَمَالُ الْحَقِيقِيُّ، وَهُوَ السَّعَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، وَهُوَ فَلَاحُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ.



(١) أخرجه النسائي (١٣٠٥)، من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

هدايات القرآن للمرأة المسلمة

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا الْمَنْزِلَ لِلنَّاسِ هِدَايَةً وَرَحْمَةً هُوَ كِتَابُ السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كِتَابٌ فِيهِ هِدَايَةُ الْأَنْامِ وَشِفَاءُ الْأَسْقَامِ وَسَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ طَلَبَ السَّعَادَةَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ شَقِيَ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِزَّ مِنْ غَيْرِ هُدَاهُ ذَلٌّ، وَمَنْ طَلَبَ الْكَرَامَةَ مِنْ غَيْرِ سَبِيلِهِ أَهِنٌ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [سُورَةُ الْأَحْزَابِ].

جعل الله نورًا للعباد وبصيرةً لهم، يهديهم إلى سعادة الدنيا والآخرة وإلى صراط الله المستقيم وسبيله القويم، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٦﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ].

وهذه وقفة مع بعض هدايات القرآن المختصة بالمرأة المسلمة؛ والتي إذا أخذت بها المرأة واستمسكت بها؛ سعدت في دنياها وأخرها، وتحقق لها عزها وفلاحها، وإن تركتها وتخلت عنها؛ هلكت، وأهلكت، وهي آدابٌ عظيمة، ليست محلاً

للجدل، ولا مجالاً للنقاش، أو الرّدّ وعدم القبول - عياداً بالله -، ومن تعرّض عليه آيات القرآن وهدايات كلام الرحمن، ثمّ يتوقّف في قبولها، أو يتردّد في الاستجابة لها؛ فما هذا بسبيل المؤمنين.

وعلى المرأة المسلمة أن تعلّم - وهي تقرأ هدايات القرآن، وتتأمّل في كلام الرحمن - أنّ سعادتها لا تكون إلّا بلزوم هدي الله والسّير في صراطه المستقيم.

❖ فمن أعظم هدايات القرآن للمرأة وأجلّها: أمر المرأة بالعبادة لله، وأن يكون ذلك أعظم مطلوبٍ لها وأجلّ مقصود، ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [سورة الاحزاب: ٣٣].

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: أمرها بالحجاب، ولزومه، والمحافظة على السّتر والحشمة؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيزِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الاحزاب: ٥٩].

❖ وأن تحذر من التبرّج والسّفور فعلى أهل الجاهليّة الجهلاء؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الاحزاب: ٣٣].

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: ألا تجلس مع الرّجال مجلساً واحداً، ولا أن تجتمع وإيّاهم في متدنّي واحد، يتلاقون

وَيَتَحَادَثُونَ وَيَتَحَاوَرُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الاحزاب: ٥٣].

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: أنها إذا اضطرت إلى الحديث مع رجل وأحوجها الأمر إلى ذلك ألا تخضع بالقول؛ لئلا يكون خضوعها به سبباً لطمع من في قلبه مرض من الرجال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [سورة الاحزاب: ٣٣].

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: أن تلزم بيتها، وألا يكون خروجها منه إلا لحاجة تدعوها لذلك، قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الاحزاب: ٣٣]، وكلما كانت المرأة المسلمة ملازمة لبيتها مُقللة من الخروج إلا عن حاجة؛ كان ذلكم أقرب لها من ربها ونيل رحمته. روى ابن حبان في «صحيحه»^(١) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون من ربها إذا هي في قعر بيتها».

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: أن تحذر عند اضطرارها للخروج من لفت أنظار الرجال إليها، واجتذابهم للنظر إلى محاسنها بأي وسيلة وبأي طريقة: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [التحريم: ٣١].

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة: أَنْ تَعُصَّ بِصَرِّهَا، وَأَنْ تَحْفَظَ فَرْجَهَا، وَأَنْ تَصُونَ عِرْضَهَا، وَأَنْ تَحَافِظَ عَلَى شَرَفِهَا وَكَرَامَتِهَا: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النَّحْلَةُ : ٣١].

❖ ومن هدايات القرآن للمرأة المسلمة: أَلَّا تَتَطَلَّعَ لشيء من خصائص الرجال وصفاتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَمْنَوُا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النِّسَاءُ : ٣٢]، وقال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ۖ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النِّسَاءُ : ٣٤].

❖ وقد أثنى الله في القرآن على حياءِ المرأة العظيمة، وما يترتب عليه من ستر وعِفَّةٍ وحشمةٍ وبُعدٍ عن الاختلاط بالرجال، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ ۖ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [النَّحْلَةُ : ٢٣ - ٢٥]، وكلما كانت المرأة مُتَّصِفَةً بالحياءِ مُتَحَلِّيةً به؛ كان ذلكم أكمل في أخلاقها وأجمل في حليتها وزينتها، بينما إذا نزعَت المرأة عن نفسها جلابِبَ الحياءِ، وأطاحت بلباس الحشمة والعِفَّةِ؛ فَقَدَت جمالها الحقيقي ومكانتها العالية الرفيعة السَّنية، وهَوَتْ إلى الحضيض.

❖ ومن هذه الهدايات: فيما يتعلق بالتقرب إلى الله ونيل رضاه وبلوغ الدرجات العُلا في جنّات النعيم: جَعَلَ الباب للرجال والنساء متساوياً؛ في الإسلام والإيمان، والقنوت والصدق، والصبر والصيام، والخشوع لله والإكثار من ذكره تبارك وتعالى، فالبابُ مُشَرَّعٌ وميدان التنافس مُهيأً للجميع رجالاً ونساءً ذكوراً وإناثاً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً ﴿٣٦﴾ [سُورَةُ الْاِحْتِشَاتِ].

إنَّ توجيهات القرآن للمرأة وهداياته؛ فيها العزّ للمرأة ولمجتمعها، وفيها الفلاح والسَّعادة في الدنيا والآخرة، والواجبُ على المرأة المسلمة التي منَّ الله عليها بالإيمان، وهداها للإسلام وعرفها بمكانة القرآن، وجعلها من أمة مُحَمَّدٍ ﷺ خير الأنام؛ أن ترعى لآداب القرآن وتوجيهاته وهداياته قدرها، وأن تعرفَ لها مكانتها، وأن تأخذَ بها مأخذَ العزم والحزم والجد والاجتهاد، وأن تربأً بنفسها عما يدعوها إليه الهمل من الناس؛ ممَّن تاهت بهم

الأفكار، وانحرفت بهم السُّبل، وحادوا عن هدايات القرآن الكريم، فالمرأة المسلمة التي تخشى الله وتخافه سبحانه، وتعدّ نفسها للقاء الله، لا تلتفت إلى ما يدعُو إليه الهمل من الناس، ممّن إذا تكلموا لم يتكلموا بوحى ناطق، ولا بسنة مأثورة، ولا بفضيلة يُتطَّلَع إلى فعلها، ويُعتنى بتتميمها وتحقيقها، وعليها في هذا المقام أن تتأمل كثيرا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِي يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٢٧].



فتنة النساء، وضرر الاختلاط

إِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ الحَنِيفَ بتوجيهاته السَّيِّدَةِ وإرشاداته الحميدة صَانَ المرأةَ المسلمةَ، وحَفَظَ لها شَرَفَهَا وكرامَتَهَا، وتكفَّلَ لها بعزِّها وسعادتها، وهَيَّأَ لها أسبابَ العيشِ الهَنِيِّ بعيداً عن مواطنِ الرِّيبِ والفتنِ والشَّرِّ والفسادِ.

وهذا كله من رحمةِ الله جَلَّ وعلا بعبادِهِ، حيث أنزلَ لهم شريعتهَ ناصحةً لهم، ومُصلحةً لفسادِهِم، ومقوِّمةً لاعوجاجِهِم، ومتكفِّلةً بسعادَتِهِم؛ ومن ذلك: ما شرَّعهُ اللهُ تبارك وتعالى من التدابيرِ العظيمةِ والإجراءاتِ القويمةِ الَّتِي تقطعُ دابرَ الفتنةِ بين الرِّجالِ والنِّساءِ، وتعيِّنُ على اجتنابِ الموبقاتِ، والبُعدِ عن الفواحشِ المُهلِكَاتِ، رحمةً منه بهم، وصيانةً لأعراضِهِم، وحمايةً لهم من خزيِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ.

والمرأةُ المسلمةُ تعيشُ في كَنَفِ الإسلامِ وفي ضوءِ توجيهاته وآدابهِ العِظامِ عيشَةً هنيئةً، ملؤها السَّعادةُ والعِزُّ والطَّمأنينةُ والرَّفعةُ في الدُّنيا والآخرةِ، شعارُها: السَّترُ والعِفافُ، ودثارُها: الطَّهرُ والزَّكاءُ، ورايتها: إشاعةُ الأدبِ وتثبيتُ الأخلاقِ، وغايتها: صيانةُ الشَّرَفِ وحمايةُ الفُضيلةِ، وستبقى المرأةُ المسلمةُ رُفِعةَ الجانبِ

عزیزة المنال صیئة الأخلاق؛ ما دامت متمسكةً بدينها محافظةً على أوامر ربها مطیعةً لنبيها رسول الله ﷺ، مُسلمةً وجهها لله مُدعنةً لشرعهِ وحُكمه، قائمةً بحقوق الإسلام وواجباته وآدابه العظام بكلِّ راحةٍ وثقةٍ واطمئنانٍ، غير مُلتفتةٍ إلى الهَمَل من الناس من دُعاة الفاحشة والفتنة؛ لتنال بذلك السَّعادة والراحة في الدنيا والآخرة، وتنال الثَّواب العظيم والأجر الجزيل يومَ لقاءِ الله تبارك وتعالى.

وقد جاء في الإسلام ما يدلُّ على أنَّ الفتنة بالنساء إذا وقعت يترتبُ عليها من المفساد والمضارِّ ما لا يُدرَك مداه ولا تحمد عُقباه، ولهذا خافها النبي ﷺ على أمته خوفاً عظيماً، وحذر صلوات الله وسلامه عليه - كثيراً من مغبتها وسوء عاقبتها، نصحاً للأمة، ومعدرةً في بيان دين الله تبارك وتعالى، ولقد كان - عليه الصَّلاة والسَّلام - معلماً أميناً وناصحاً مُشفقاً، فما ترك خيراً إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شراً إلا حذرها منه.

روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١). وروى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ

أَوَّلُ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي السَّاءِ»^(١).

والأحاديث عن نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - كثيرة جداً في هذا الباب العظيم؛ صيانة للمجتمع والأمة، ومحافظة على المرأة ورعاية لها. وهذه الأحاديث وغيرها ممّا جاء عن رسول الله ﷺ تعدّ بحقّ صمّام أمان للمرأة ولبيتها ولمجتمعها بأسره من أن تحلّ به الرذيلة أو أن يتشتر فيه الشرّ والفساد، فإنّ المرأة متى تمسّكت بتعاليم الإسلام؛ سعدت في الدنيا والآخرة، وساعدت في بناء مجتمع قويّ متماسك نزيه مليء بالطهر والعفاف، وإن تخلّت عن هذه التعاليم؛ تردّت في مهاوي الرذيلة، وسقطت في حمأة الفساد، وفقدت كرامتها ومكانتها ومنزلتها الرفيعة، فإنّها إن تلوّثت بالرذيلة؛ جلبت العار والشّار لنفسها وأهلها وقرابتها، ونكّست رؤوسهم، وحطّت من أقدارهم بين الناس، وإن حمّلت من ذلك فقتلت ولدها؛ جمعت بين القتل والزنا، وإن أدخلته على زوجها أو أهلها؛ أدخلت عليهم أجنيباً ليس منهم، يخلو بهم، ويرثهم، ويُنسب إليهم، وليس منهم، إلى غير ذلك من المفاسد.

ومن يتأمّل التاريخ على طول مدّاه يجد أنّ من أكبر أسباب انهيار الحضارات، وتفكك المجتمعات، وتحلل الأخلاق، وفساد

القيَم، وفشو الجريمة؛ هو تبرج المرأة، ومخالطتها للرجال، ومبالغتها في الزينة والاختلاط، وخلوتها مع الأجانب، وارتياؤها للمتتديات والمجالس العامة وهي في أتم زينة وأبهى تجميل. قال العلامة ابن القيم رحمته الله: «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بليّة وشرّ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أعظم أسباب فساد أمور العامة والخاصّة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطّواعين المتّصلة»^(١). انتهى كلامه رحمته الله.

والإسلام لم يفرض على المرأة الحجاب، ولم يمنعها من تلك الأمور إلّا ليصونها عن الابتذال، وليحميها من التعرّض للرّيبة والفحش، وليمنعها من الوقوع في الجريمة والفساد، وليكسوها بذلك حُلّة التقوى والطّهارة والعفاف، وسدّ بذلك كلّ ذريعة تفضي إلى الفاحشة، يقول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الاحزاب: ٣٣]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الاحزاب: ٥٣]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ

يَحْمُرُهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴿الآيَةُ [النُّسْخَةُ : ٣١]، ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَنِيْبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [سُورَةُ الْاِنْجِلِ ٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿[سُورَةُ الْاِنْجِلِ ٥٩] .

وروى الترمذي في «جامعه»^(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت؛ استشرفها الشيطان». ومعنى: «استشرفها الشيطان» أي: جعلها غرضاً له ليهيّج من خلالها الفساد والشهوة.

وعن أم حميد الساعديّة رضي الله عنها أنها جاءت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إنني أحب الصلاة معك، قال: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِيَ، وَصَلَاتِكَ فِي بَيْتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي دَارِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا»^(٣).

(١) برقم (١١٧٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٠٩٠).

(٣) أخرجه مسلم (٤٤٠).

كَلَّ ذَلِكَ حَفْظًا لِلْمَرْأَةِ مِنَ الْإِخْتِلَاطِ بِالرِّجَالِ وَمَزَاحِمَتِهِمْ؛
وَهَذَا فِي حَالِ الْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُسْلِمَةُ
أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنْ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ وَإِغْوَاةِهِ، فَكَيْفَ إِذَا بِالْأَمْرِ فِي
الْأَسْوَاقِ وَالْأَمَاكِنِ الْعَامَّةِ وَالْمُنْتَدِيَاتِ!! وَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ
ﷺ مَوْلَاتِهَا، وَقَالَتْ لَهَا: «يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! طِفْتُ بِالْبَيْتِ سَبْعًا،
وَاسْتَلَمْتُ الرِّكْنَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا». قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: «لَا أَجْرُكَ
اللَّهُ، لَا أَجْرُكَ اللَّهُ، تَدَافِعِينَ الرِّجَالَ!! أَلَا كَبَّرْتَ وَمَرَّرْتَ»^(١). قَالَتْ
لَهَا ذَلِكَ مَعَ أَنَّهَا فِي أَشْرَفِ مَكَانٍ وَخَيْرِ بُقْعَةٍ، مَكَانَ طَاعَةِ جِوَارِ
الْكَعْبَةِ؛ فَكَيْفَ الْأَمْرُ بِمَنْ تَزَاحِمُ الرِّجَالَ فِي الْأَسْوَاقِ وَالْأَمَاكِنِ
الْعَامَّةِ وَالْمُنْتَدِيَاتِ، وَهِيَ فِي كَامِلِ زِينَتِهَا وَأَجْمَلِ حِلْيَتِهَا وَأَبْهَى
تَعَطَّرَهَا!!



(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩٢٦٨).

عبرة عظيمة من قصة صحابية كريمة

هذه عبرة عظيمة وفائدة جليّة ثمينة نفيدها من قصّة صحابيّة فاضلة، وهي تحكي خبرَ إسلامها، ونبأ دخولها في هذا الدّين، وبداية حياتها في الإسلام؛ تلكم هي قيّلة بنت مخرّمة التّميميّة رضي الله عنها، وقصّتها طويلة، رواها الطّبراني بتمامها في كتابه «المعجم الكبير»^(١)، وأجتزئ من قصّتها رضي الله عنها ذكرها لخبر وصولها إلى المدينة ودخولها لمسجد النّبيّ - عليه الصّلاة والسّلام -، وكان ذلكم الدّخول كما روت رضي الله عنها وقت صلاة الفجر، والنّبيّ - عليه الصّلاة والسّلام - يُصليّ بالمؤمنين، والصّفوف خلفه قائمين لأداء هذه الصّلاة العظيمة، قالت رضي الله عنها: «قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ صَلَاةَ الْغَدَاةِ، وَقَدْ أُقِيمَتْ حِينَ شَقَّ الْفَجْرُ، وَالنَّجُومُ شَابِكَةٌ فِي السَّمَاءِ، وَالرِّجَالُ لَا تَكَادُ تَعَارَفُ مِنْ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ، فَصَفَفْتُ مَعَ الرِّجَالِ، امْرَأَةً حَدِيثَةً عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ». ولتأمل امرأة تصف إلى جنب الرّجال في مسجد النّبيّ - عليه الصّلاة والسّلام -! وفي صلاة الفجر!! قالت: «فَقَالَ لِي الرَّجُلُ الَّذِي يَلِينِي مِنَ الصَّفِّ: امْرَأَةٌ أَنْتِ، أَمْ رَجُلٌ؟ فَقُلْتُ: لَا؛ بَلْ امْرَأَةٌ، فَقَالَ رضي الله عنه: إِنَّكَ

قَدْ كَذَبْتَ تَقْتَنِينِي، فَصَلِّي فِي النَّسَاءِ. وَإِذَا صَفَّ مِنَ النَّسَاءِ قَدْ حَدَثَ عِنْدَ الْحُجُرَاتِ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ حِينَ دَخَلْتُ، فَكُنْتُ فِيهِنَّ». أَي: أَنَّهَا ذَهَبَتْ وَصَلَّتْ مَعَ النَّسَاءِ، وَتَعْتَذِرُ لِنَفْسِهَا فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْخَاطِئِ أَنَّهَا كَانَتْ حَدِيثَةً عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، أَي: أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ عَلَى مَعْرِفَةٍ بِالْإِسْلَامِ وَتَفَاصِيلِهِ وَأَحْكَامِهِ وَهَدَايَاتِهِ.

تَأْمَلِي أَيْتَهَا الْأَخْتُ الْمُسْلِمَةُ؛ الْمَكَانُ: مَسْجِدُ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَالزَّمَانُ: زَمَانُهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، وَالْوَقْتُ وَالْحَالُ: حَالُ فَاضِلَةٍ؛ وَقْتُ أَدَاءِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ! يَقُولُ ذَلِكَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ (رضي الله عنه): «إِنَّكَ قَدْ كَذَبْتَ تَقْتَنِينِي» وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ (رضي الله عنه) هُوَ الَّذِي بَيْنَهُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي حَدِيثِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ»^(١)، وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قَالَ: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ»^(٢).

فَخَافَ (صلى الله عليه وآله وسلم) عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -!! وَهُوَ خَلْفَ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ!! فَكَيْفَ الْأَمْرُ عِنْدَمَا تَخَالِطُ الْمَرْأَةَ الرِّجَالُ لَيْسَ فِي

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وقت ظلمة كهذا؛ ولا مكان شريف كهذا، وإنما في وقت هو في
وَضَحِ النَّهَارِ وفي الأسواق والمنتديات العامة، بكامل زينتها وتمام
حليتها وجمال تعطرها، ممّا هو خَطَرٌ دَاهِمٌ وبلاءٌ عظيمٌ يدمّر
ويهلك ويوقع في الفتن العظام التي خاف النَّبِيُّ ﷺ على أمته منها!!
وإذا كان النَّبِيُّ ﷺ في المسجد -بيت الله، الذي هو موضع
الطمأنينة والإيمان، وحسن الإقبال على الرحمن جلّ وعلا-
يباعد بين النساء والرجال حيطةً وحذرًا، ففي «صحيح مسلم»^(١)
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أُولَئِهَا،
وَشَرَّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرَّهَا أُولَئِهَا». أي:
أنّ المرأة حتّى وإن كانت في المسجد بيت الله، كلّما كانت بعيدةً
عن الرجال كان خيرًا لها وأولى.

وصلاتها في بيتها خيرٌ من صلاتها في المسجد؛ ففي حديث^(٢)
أمّ حُمَيْدٍ السَّاعِدِيَّة رضي الله عنها قالت: أتيت النَّبِيَّ ﷺ وقلت: يا رسول
الله؛ إني أحب أن أصلي معك في مسجدك هذا، قال - عليه الصّلاة
والسّلام -: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِيَ، وَصَلَاتِكَ فِي
بَيْتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ
خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي دَارِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ، وَصَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي».

وجاء في «صحيح البخاري»^(١) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ قَامَ النِّسَاءُ حِينَ يَقْضِي تَسْلِيمَهُ وَيَمْكُثُ هُوَ فِي مَقَامِهِ يَسِيرًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ» قال الزَّهْرِي: «نَرَى - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ قَبْلَ أَنْ يَدْرِكَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ».

وجاء في كتاب الله - جَلَّ شَأْنُهُ - مَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْبُعْدَ عَنِ الْإِخْتِلَاطِ كَانَ مَوْجُودًا فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ﴿يُذَكِّرُ الْفَاحِشَ﴾ - عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ ..

فِيَا أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ! اتَّقِ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا، فَإِنَّكَ سَتَلْقِيَنَّهُ ﷻ، وَمِمَّا تَسْأَلِينَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَمَلُكِ بِهَذِهِ التَّوْجِيهَاتِ وَهَذِهِ الْإِرْشَادَاتِ الْمُبَارَكَاتِ فِي كِتَابِ رَبِّ الْبَرِيَّاتِ وَفِي أَحَادِيثِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -؛ فَإِنَّ فِي تَقْوَى اللَّهِ ﷻ وَلِزُومِ شَرْعِهِ وَالتَّمَسُّكِ بِأَهْدَابِ الدِّينِ وَآدَابِهِ عِزٌّ الْمُسْلِمِ وَفَلَاحُهُ وَسَعَادَتُهُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ.

ومن الدَّعوات العظيمة في هذا الباب: ما رواه أبو داود وغيره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما كان رسول الله ﷺ يدعُ هؤلاء الدَّعوات كلَّ يوم إذا أصبحَ وأمسى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١). والدَّعاء بأَمْنِ الرُّوعات وستر العورات كما أنَّه جاء وظيفة في جملة أذكار الصُّباح والمساء فإنه ثبت به الحديث عن النَّبِيِّ ﷺ دعاءً مطلقاً، يدعو به المسلم كلَّ وقت وحين؛ ففي «المعجم الكبير» للطَّبْراني^(٢) عن خَبَّاب رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ، يقول: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي، وَآمِنْ رَوْعَتِي، وَأَقْضِ عَنِّي دَيْنِي». فجديرٌ بالمسلم أن يعتني بهذا الدَّعاء، وأن يُوصيَ أبناءه وبناته بالمحافظة عليه، والتَّوفيق بيد الله وحده لا شريك له.



(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧١).

(٢) برقم (٣٦٢٢).

قصة امرأة من أهل الجنة

وهذه قصّة عجيبة عظيمة، فيها عبرة وعظة؛ إنّها قصّة امرأة من أهل الجنة: رَوَى البخاري ومسلم في «صحيحهما»^(١) عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء؛ أتت النبي ﷺ فقالت: إني أضرعُ، وإني أتكشّف، فادعُ الله لي، قال: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتُ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِكَ؟». فقالت: أصبرُ، فقالت: إني أتكشّف، فادعُ الله لي أن لا أتكشّف، فدعا لها. لتَمَلَّ في قصّة هذه المرأة العظيمة؛ فهذه المرأة معها إيمان وصِدْقٌ، ونقاءٌ وصفاءٌ، ودينٌ وحياءٌ، وبها هذه الشدّة والبلاء، ألا وهو ما أصابها من صرع فكان يؤرّقها ويُقلّتها، ويؤذيها ويضجرها، فجاءت طالبةً من النبي - عليه الصّلاة والسّلام - أن يدعو الله لها أن يكشف ما بها من ضرٍّ وأن يرفع عنها ما أصابها من بلاءٍ، فأرشدها - عليه الصّلاة والسّلام - إلى ما هو أعظم لها من ذلك ألا وهو أن تصبر على الشدّة والبلاء واللاءاء، وتكون

(١) البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

العاقبة الجنة، فاختارت حسن العاقبة وجميل المآل وأن تكون من أهل الجنة بضمان رسول الله ﷺ إن صبرت؛ فاختارت ﷺ الصبر، إلا أنه بقي يؤرقها ما كان يصيبها من تكشف بعض عورتها، وظهور بعض أعضاء جسمها حال صرعها؛ مع أنها معذورة في هذه الحال لمرضها، فليست مختارة لذلك، ولا قابلة له، ولا راضية به، ومع ذلك شدة حياتها وقوة إيمانها ونقاء قلبها وحسن زكاتها جعلها تقلق أشد القلق من هذا الانكشاف، فاختارت ﷺ الصبر ولها الجنة، إلا أنها قالت: «إني أتكشف» أي: أن هذا أمر لا أتمكن من الصبر عليه، وإن كان واقعاً عن غير اختيار مني، فدعا لها رسول الله ﷺ، فكانت بعد ذلك تصرع ولا تتكشف بدعوة النبي - عليه الصلاة والسلام -.

إن قصة هذه المرأة قصة عظيمة، تروى في مكارم الأخلاق وجميل الصفات ومحاسن القيم وجمال الحياء ونقاء القلب وصفائه، نعم!! قالت: «إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف». فكان هذا الكشف الذي يقع عن غير طوع واختيار، وعلى وضع لا ملامة عليها فيه تكشفاً يؤرقها ويقلقها.

فإذا كانت هذه حالها - وما أكرمها من حال، وما أعظمه من وصف - فكيف الحال بامرأة تتكشف، مبدية محاسنها، مظهره مفاتها، مبرزة جمالها، بطوعها واختيارها، غير مبالية ولا مكثرثة

لا بحياء ولا إيمان!! تَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ، وَتَسْمَعُ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَسْمَعُ مَا فِي التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ مِنْ وَعِيدٍ وَتَهْدِيدٍ؛ فَلَا تَبَالِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا تَكْتَرِثُ.

إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَانَ تَكْشِفُهَا بِسَبَبِ صَرْعٍ مَعْذُورَةٍ، وَكَانَتْ تَكْرَهُ ذَلِكَ التَّكْشِيفَ أَشَدَّ الْكَرَاهَةِ، لَكِنْ مَا يَقَعُ فِي عَدَدٍ مِنَ النِّسَاءِ مِنْ تَكْشِيفٍ وَتَبَرُّجٍ وَسُفُورٍ سَبَبُهُ صَرْعٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ أَصْبَنَ بِهِ وَلَا يُعْذَرْنَ فِيهِ؛ إِنَّهُ صَرْعُ الشَّهَوَاتِ، بِسَبَبِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَقِلَّةِ الدِّينِ وَذَهَابِ الْحَيَاءِ؛ بَأَنَّ يَكُونَ الْإِنْسَانُ صَرِيعَ شَهَوَاتِهِ وَصَرِيعَ تَتَبَعِ مِلَذَّاتِهِ، فَيَكُونُ بِهَذَا الصَّرْعِ لَيْسَ مَبَالِيًّا وَلَا مُكْتَرِثًا بِمَا يَفْعَلُهُ أَهْوَى مِنْ رِضَا اللَّهِ ﷻ أَمْ مِنْ سَخَطِهِ؟.

وَقَدْ عَظُمَ هَذَا النَّوعُ مِنَ الصَّرْعِ فِي هَذَا الزَّمَنِ؛ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْفِتَنِ، وَتَنَوُّعِ دَوَاعِي الشَّهَوَاتِ، وَبُرُوزِ أَصْنَافِ الْمُغْرِيَّاتِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، وَمَا اسْتَجَدَّ فِيهِ مِنْ وَسَائِلِ حَدِيثَةٍ، كَثِيرٌ مِنْهَا تَوَجَّجَ الْفِتَنِ وَتَثِيرَ فِي النُّفُوسِ الشَّهَوَاتِ؛ مِنْ خِلَالِ قَنَوَاتِ آثَمَةٍ، وَمَوَاقِعِ مَوْبُوءَةٍ، لَا هَدَفَ لَهَا وَلَا غَايَةَ إِلَّا إِيقَاعَ النَّاسِ فِي صَرْعِ الشَّهَوَاتِ، وَأَنْ يَكُونُوا طَرِيحِي الْمِلَذَّاتِ، فَعَظُمَ الْبَلَاءُ وَاشْتَدَّ الْخَطْبُ.

وَقَدْ تَحَدَّثَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ «زَادَ الْمَعَادُ» عَنْ هَذَا النَّوعِ مِنَ الصَّرْعِ، وَعَنْ حَالِ النَّاسِ مَعَهُ، وَمَا أَصَابَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنْ فِتَنِ وَعَوَاصِفٍ شَدِيدَةٍ، تَعْصِفُ

بالإيمان واليقين، وتزلزل الأخلاق والحياء، ذاكراً حال الناس في زمانه؛ فكيف به لو رأى حال الناس في أزمانٍ مُتأخِّرةٍ مع فتن مُتكاثرة!! يقول ﷺ: «وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألستهم من حقائق الذكر، والتعاويد، والتحصينات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا.

ولو كشف الغطاء، لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى هذه الأرواح الخبيثة، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت، ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها، وبهذا الصرع الأعظم الذي لا يفيق صاحبه إلا عند المفارقة والمعاناة، فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقةً، وبالله المستعان.

وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءت به الرسل، وأن تكون الجنة والنار نُصبَ عينيه وقبلة قلبه، ويستحضر أهل الدنيا، وحلول المثالات والآفات بهم، ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر، وهم صرعى لا يفيقون، وما أشدّ داء هذا الصرع! ولكن لما عمّت البلية به بحيث لا يرى إلا مصروعاً، لم يصبر مُستغرباً ولا مُستنكراً، بل صار لكثرة المصروعين عينُ المستنكر المستغرب خلافة.

فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ؛ أَفَاقَ مِنْ هَذِهِ الصَّرْعَةِ، وَنَظَرَ إِلَى أَبْنَاءِ الدُّنْيَا مُصْرُوعِينَ حَوْلَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَطْبَقَ بِهِ الْجَنُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفِيقُ أحيانًا قَلِيلَةً، وَيَعُودُ إِلَى جَنُونِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفِيقُ مَرَّةً، وَيَجُنُّ أُخْرَى، فَإِذَا أَفَاقَ؛ عَمَلَ عَمَلِ أَهْلِ الْإِفَاقَةِ وَالْعَقْلِ، ثُمَّ يَعَاوِدُهُ الصَّرْعُ، فَيَقَعُ فِي التَّخَبُّطِ»^(١).

يَقُولُ ذَلِكَ ﷺ وَلَمْ يَرِ دَوَاعِيَ الْفِتَنِ، وَمَا اسْتَجَدَّ عَلَى النَّاسِ فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ؛ مِمَّا يَعِصِفُ بِالْإِيمَانِ، وَيَخْلُخِلُ الْأَخْلَاقَ، وَيُذْهِبُ الْمَرْوَةَ وَالْحَيَاءَ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ نَفْسَهُ بِزِمَامِ الشَّرْعِ وَيَزِمَّهَا بِزِمَامِ هَدْيِ نَبِيِّنَا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَانَ مِنْ صَرَعَى هَذِهِ الْآفَاتِ، وَقَتَلَى هَذِهِ الْفِتَنِ، وَطَرِيحَى هَذِهِ الشَّهَوَاتِ.

أَيَّتْهَا الْمَرْأَةُ الْمُؤْمِنَةُ! تَأَمَّلِي فِي حَيَاةِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ - السَّوْدَاءِ، صَادِقَةِ الْإِيمَانِ، عَظِيمَةِ الْحَيَاءِ - وَهِيَ تَخَاطَبُ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - صَابِرَةً عَلَى الشَّدَّةِ وَاللَّأْوَاءِ، قَائِلَةً: «إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ». إِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَهَا خَوْفًا مِنَ التَّكَشُّفِ مَعَ أَنَّهَا مَعْدُورَةٌ؛ فَكَيْفَ حَالُكَ أَنْتِ أَيَّتْهَا الْمُؤْمِنَةُ؟!

إِنَّ بَعْضَ النِّسَاءِ ابْتَلَيْنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ بَاهِزَامِيَّةٍ عَظِيمَةٍ وَتَحُولٍ شَنِيعٍ؛ بِسَبَبِ انْبِهَارِ بَحْضَارَاتِ زَائِفَةٍ وَتَقَدُّمِ قَاتِلٍ، فَأَصْبَحَتِ الْمَرْأَةُ لَا تَقْلُدُ مَنْ هِيَ مُعْجَبَةٌ بِحَضَارَتِهَا إِلَّا فِي تَوَافِهِ الْأُمُورِ وَخَسِيسِ

الأشياء وحقير الأخلاق؛ فجنت على نفسها أعظم جناية، وجرت على إيمانها أعظم بلاء.

ألا فلتتق الله كل أمة مسلمة وكل امرأة مؤمنة، ولتتذكر وقوفها بين يدي الله، وأن الله رب العالمين سائلها يوم القيامة عن حياتها، وعن سترها، وعن حشمتها، وعن كل ما جاء في كتاب ربها وسنة نبيها صلوات الله وسلامه عليه.

ولما أصيب بعض النساء بهذا النوع من الصرع - صرع الشهوات - فأصبحن طريحات لهذا الصرع، جنى عليهن أنواعاً من الجنايات؛ ولهذا يرى في كثير من بلدان المسلمين وديار أهل الإيمان في أنحاء كثيرة تكشف وتبرج وسفور لا يعرف إطلاقاً في تاريخ حياة المرأة المسلمة، بدءاً من الصحابيات الكريمات ومن اتبعهن بإحسان من نساء الإيمان وأهل الصدق والعفة والحياء، فأصبح هؤلاء النساء الصريعات لا يبالين بكشف المحاسن وإبراز المفاتن؛ فتلك تكشف صدرها، وأخرى تبدي نحرها، وثالثة تحل عن شعرها، وأخرى تبدي ساقها وفخذها، إلى أنواع من التكشف والشفور والتبرج، من غير وازع إيمان، ومن غير حياء ولا خشية للرحمن؛ أتذكر هؤلاء النساء البعث والوقوف بين يدي الله؟! ثم الحساب والعقاب على كل منكر اقترفته، وكل فعل شنيع ارتكبته؟! فما الذي غرها في إيمانها؟ وما الذي غرها في حياتها؟!

وما الذي جعلها تنحطّ إلى هذا السُّفول، وتهوي في هذا الدَّرَك من الانحطاط؟!

ألا فلتتدارك المرأة ذلك، ولتنقذ نفسها من هذا الصَّرْع مستعينةً بربِّها، سائلةً سيِّدها ومولاها جلَّ شأنه أن يُمنَّ عليها بالعفاف، وأن يرزقها الحشمةَ والسَّتر، آخذةً بمأخذ الحزم والعزم؛ صيانةً لنفسِها، ورعايةً لحيائها، ومحافظةً على إيمانها؛ والتَّوفيق بيد الله وحده.



قرار المرأة وقارها

إِنَّ النِّعْمَةَ عَلَيْنَا - معاشرَ المسلمين - والمِنَّةُ عَظِيمَةٌ بالهداية لهذا الدِّينِ والصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، إِنَّهُ دِينُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي رَضِيَهِ لِعِبَادِهِ، وَلَا يَرْضَى لَهُمْ دِينًا سِوَاهُ، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [التَّوْبَةُ : ٣]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٨٥] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، إِنَّهُ الدِّينُ الَّذِي أَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ الْعُقَائِدَ وَالْأَعْمَالَ وَالْأَخْلَاقَ، وَأَصْلَحَ بِهِ ظَاهَرَ الْمَرْءِ وَبَاطِنَهُ، وَزَيَّنَهُ بِجَمَالِ هَذَا الدِّينِ وَكَمَالِهِ، إِنَّهُ الدِّينُ الَّذِي مِنْ تَمَسُّكَ بِهِ؛ أَفْلَحَ وَنَجَحَ، وَمَنْ تَرَكَهُ؛ تَرَحَّلَتْ عَنْهُ الْعَقِيدَةُ السَّلِيمَةُ وَالْأَعْمَالُ الْقَوِيمَةُ وَالْأَخْلَاقُ الْفَاضِلَةُ النَّبِيلَةُ، إِنَّهُ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَالصُّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا فَلَاحَ وَلَا سَعَادَةَ لِلْعِبَادِ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ إِلَّا بِتَحْقِيقِهِ وَالْقِيَامِ بِهِ؛ الصَّدَقُ شِعَارُهُ، وَالْحَقُّ مَدَارُهُ، وَالْعَدْلُ قَوَائِمُهُ، وَالرَّحْمَةُ رُوحُهُ، وَالْخَيْرُ قَرِينُهُ، وَالصَّلَاحُ وَالْإِصْلَاحُ غَايَتُهُ وَقَصْدُهُ، فَمَا أَعْظَمَ هَذَا الدِّينَ، وَمَا أَجَلَ النِّعْمَةِ عَلَيْنَا بِهِ؛ فَلْنَحْمَدِ اللَّهَ رَبَّنَا عَلَى أَنْ هَدَانَا لِهَذَا الدِّينِ وَأَنْ جَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ، وَلِنَسْأَلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الثَّبَاتَ عَلَيْهِ إِلَى الْمَمَاتِ.

لقد جاء هذا الدِّينُ الْقَوِيمُ بهداياته العظيمة وتوجيهاته

السَّديدة مُصلِحًا للعباد، مُحَقِّقًا للفلاح، قاطعًا لدابر الفتن والفساد. وإنَّ منْ تدابير الدِّين العظيمة وتوجيهاته المباركة تلك التَّوجيهات الَّتِي جاءت في كتاب الله جَلَّ وعلا وَسُنَّة نبيِّه - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - مُخْتَصَّةً بالمرأة المسلمة، مُحَقِّقَةً لها في تمسُّكِها بتلك الآداب والتَّوجيهات الفلاح والسَّعادة والصِّيانة والرَّفعة في الدُّنيا والآخرة، والمرأة المسلمة إذا وفَّقها الله جَلَّ وعلا وشرح صدرَها للتمسُّك بآداب الإسلام وأحكامه سَعِدَتْ وسَلِمَتْ وسَلِمَ أيضًا مجتمَعُها من الافتتان بها؛ لأنَّ المرأة فتنَةٌ، بل قال النَّبِيُّ - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - فيما صَحَّ عنه: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١). وقال - عليه الصَّلَاة والسَّلَام -: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»^(٢). فالفتنة في النِّسَاءِ فتنَةٌ عظيمةٌ وشديدةٌ للغاية، وقد خافها وَخَشِيَها نبيُّ الهدى والرَّحمة - صلوات الله وسلامه عليه - على أُمَّته، وجاء الإسلام بتوجيهات مُسَدِّدَةٍ وإرشاداتٍ عظيمةٍ، إذا أخذت بها المرأة؛ سَلِمَتْ، وسَلِمَ مجتمَعُها من الافتتان بها. إنَّ الواجب على المرأة المسلمة أن تقرأ القرآن وأحاديث الرِّسول الكريم - عليه الصَّلَاة والسَّلَام -، وتأخذ بالتَّوجيهات

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الواردة في الكتاب والسنة مأخذ الجد والعزيمة دون تراخ أو توانٍ؛ فإنّ في تلك التوجيهات صلاحها وسعادتها في دنياها وأخرها، ولمّا تمرّد بعض النساء على توجيهات الشرع وإرشاداته الحكيمة؛ وقعن - والعياذ بالله - في مهاوي الرذيلة ومآلات الهلاك، وكثيرٌ منهنّ بعدَ خطواتٍ طويلةٍ وعمرٍ مديدٍ أمضيتهُ في البعد عن شرع الله وتوجيهات الإسلام، أعلنَ في مناسباتٍ كثيرةٍ فشلهنّ بسبب ذلك البُعد عن قيم الإسلام وآدابه، والسَّعيُ من اتَّعظ بغيره، والشَّقِيّ من اتَّعظَ بِهِ غَيْرُهُ.

إنّ المسلمة عندما تتأمّل في آداب الإسلام وتوجيهاته لها؛ لا ترى أنّها تكبيل لها وتقييدٌ لحريّتها، كما يزعمه خصومُ الإسلام وأعداءُ الدّين، بل إنّ توجيهات الإسلام للمرأة المسلمة توجيهاتٌ تكفل للمرأة الحياة النّبيّلة والعيش الهنيء، بعيداً عن أخطار الفتن ومسالك الانحلال والانحراف والفساد، وعندما تأخذ المرأة بتعاليم الإسلام؛ تعيش حياة الوقار والكمال والجَمال والعِفّة، والحديث في بيان هذه التوجيهات يطول؛ لكن لنقف مع هذا التّوجيه العظيم:

يقول الله جلّ وعلا: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الاحزاب: ٣٣]، وفي قراءة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾، والمعنى على القراءة الأولى: من القرار، وهو

المُكث في البيوت، وعدم الخروج إلَّا لحاجة وضرورة ملحة، وعلى القراءة الأخرى ﴿قَرْنَ﴾: من الوقار، وبين القراءتين تلازمٌ في المعنى؛ فإنَّ المرأةَ إذا قرَّت في بيتها؛ تحقَّق لها الوقار، بينما إذا كانت خراجةً ولّاجةً؛ فإنَّ هذا الخروج والولوج وعدم القرار في البيوت يُفضي بها إلى البعد عن الوقار، وحلول أضرار ذلك محلّه.

وفي قوله: ﴿يُوتَكَنَّ﴾؛ مع أنَّ البيوتَ في الغالب ملكٌ للأزواج، لكن لما للمرأة من اختصاص بالبيت وبقاء به ورعاية له ومسؤوليّة عظيمة فيه أضيفَ البيت إليها؛ لأنّها مطلوبٌ منها ملازمة البيت والقرار فيه، وأن لا يكون لها خروجٌ من بيتها إلَّا لحاجة.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾؛ فإذا خرجت من بيتها تخرج لحاجة أو لضرورة ملتزمة بضوابط الشرع وآدابه، فمن التبرّج: سفور المرأة وإبداؤها محاسنها، وإظهارها لزينتها، وتعطرها وتجميلها، وحرصها على فتن الرجال ولفت أنظارهم، فكلّ هذه المعاني من تبرّج الجاهليّة الأولى التي لا تنال منها المرأة إن فعلتها إلَّا الانحطاط والسُّفول والعياذ بالله.

ثمّ هذه المرأة الكريمة المصونة التي قرَّت في بيتها تأتي التوجيهات إلى الرّجل أن يرعى كرامتها وأن يحفظ لها فضيلتها، وأن لا يكون هناك اختلاطٌ بين الرّجال والنساء أو خلوةٌ بالمرأة

الأجنبية لما يترتب على ذلك من فتن وأضرار، ففي «الصحيحين»^(١) عن عقبه بن عامر رضي الله عنه أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «إِيَّاكُمْ وَالِدَّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»، وفي رواية «لَا تَدْخُلُوا عَلَى النِّسَاءِ»^(٢)؛ فالمرأة مطلوب منها أن تقر في بيتها، ونهي الرجال الأجانب عن الدخول على النساء في البيوت لما يترتب على ذلك من شرّ وفتنة وهلاك، «فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله؛ أفرأيت الحمّو؟» أي هل يشمل ذلك؟ والحمّو أو الأحماء: أقارب الزوج عدا آباه وأبنائه؛ كأخيه وعمّه وخاله وابن عمّه وابن خاله، قال النبي صلى الله عليه وآله: «الحمّو الموت».

ولنفق مع هذا التنبيه والزجر العظيم: «الحمّو الموت»؛ الحمّو: الذي هو قريب الزوج من أخ وعمّ وابن عمّ وخال وابن خال قال عنهم - صلوات الله وسلامه عليه -: «الحمّو الموت» فكيف بالرجال الأجانب البعداء عن المرأة، ومن ليس لهم بها قرابة ولا بزوجها؟!

قال: «الحمّو الموت»؛ وفي تعبيره - عليه الصلاة والسلام - بالموت تنبيه إلى أن الإخلال بأداب الإسلام ووصاياها العظام لا يوصل بمن أخل بها إلا إلى الموت والهلكة، نعم!! قد يكون هذا

(١) البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٦٨٤).

المخلّ بآداب الإسلام يمشي على قدميه ويأكل ويشرب ويتحدّث ولكنه في الحقيقة ميتٌ؛ لأنّ الفضيلة والعفة والشرف والكرامة ماتت عنده، فلم يكن من أهلها.

فالفضيلة تموت، والعفة تموت، والأخلاق تموت، ولموتها أسباب، وديننا جاء لحماية العباد من موت الفضيلة وموت الأخلاق وموت الآداب.

إنّ المرأة المسلمة ولا سيّما في زماننا هذا زمن الفتن، الزمن الذي انفتح فيه كثيرٌ من النّاس على عادات الكفّار وتقاليدهم، بل ومجونهم وانحلالهم وانحرافهم وانحطاطهم وسُفولهم، ومع كثرة النّظر وإدمان المشاهدة من خلال القنوات الفضائية، ومن خلال مواقع الشّبكة العنكبوتية، ومن خلال مجلّات هابطة، ونحو ذلك بدأت تتسلّل تلك الأخلاق إلى عقول بعض النّساء، والمرأة ضعيفةٌ وسريعة الافتتان إلّا من حماها الله وتحمّل ووقاها وسارعت بإنقاذ نفسها، وسدّ أبواب الفتنة عنها ملتجئةً إلى الله تبارك وتعالى معتصمةً به.

إنّنا في زمانٍ يجب علينا أن نتظافر فيه جهودنا حمايةً للفضيلة، ورعايةً للكرامة، وصيانةً للشرف، ورعايةً للغيرة الدّينية التي جاء بها دين الله تبارك وتعالى، لنعيش في كَفِّ الإسلام وآدابه العظام وتوجيهاته المُسدّدة حياة شرفٍ وفضيلة، وكرامةٍ ورفعة، وإذا كان

ديننا الحنيف بتوجيهاته العظيمة وإرشاداته السَّمَّحَةِ المباركة يريد من المرأة أن تعيش حياة الكمال والفضيلة والرَّفعة، فإنَّ أعداء الدِّين وخصومه لا يريدون منها ذلك؛ بل يريدون حياة الرَّذيلة والانحطاط والسُّفول ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٢٧]، نعم! إنَّها حقيقةٌ ظاهرة؛ فعلى المرأة المسلمة أن لا تستهين بهذا الأمر وأن لا تسمع لدعوة كلِّ ناعقٍ وكلِّ هاتفٍ، وإنَّما ليكن سماعُها مقصوراً على ما كان مُدْعَماً بالحجج البيِّنات والدلائل الواضحات من العلماء المُحَقِّقين الرَّاسخين أهل الدِّراية بكتاب الله ﷻ وسنَّة نبيِّه - عليه الصَّلاة والسَّلام -.

قَدْ هَيَّؤُوكَ لِأَمْرِ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ فَارْزَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْهَمَلِ
 إِنَّ المرأةَ إن عاشت مع آداب الإسلام عاشت حياةً كريمةً
 فاضلةً في نفسها خاصَّةً، وفي مجتمعها حياةً الكرماء وعيش
 الأفاضل النَّبلاء، وإن فتنَتْ ومَضَتْ مع دعاة الفتنة ودعاة الشَّرِّ
 والفساد هلكَتْ في نفسها وكانت سبب هلاكٍ لغيرها.

وَلْتَذَكَّرْ أَنَّهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ سَتَغَادِرُ هَذِهِ الْحَيَاةَ، وَأَنَّهَا بِجَسْمِهَا
 الجميل ومحاسنها الفاتنة وتزيينها لنفسِها وفتنها للرجال سيأتي
 عليها يومٌ وتدرج في حفرةٍ ويُهَال عليها التُّراب وتأكَلها الدِّيدان

ويذهب عنها رُؤْنُهَا وجمالها، وتكون في تلك الحفرة رهينةَ أعمالها، وقيدَ ما قدّمت في هذه الحياة، فقد كان قبلها نساءً عَمَرْنَ القصور ثمَّ سَكَنَ القبورَ في أحوالٍ هائلةٍ وألوانٍ حائلةٍ، ورؤوسٍ عن الأبدان زائلةٍ، وعيونٍ على الخدود سائلةٍ؛ فلتتقِ الله المرأة المسلمة ولتعدّ لهذا اليوم عدّته.



تأملات في قوله تعالى:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾

قال الله تعالى في سورة النور: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٤).

أمر الله جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة المؤمنات بغضّ الأبصار وحفظ الفروج وذكر أحكاماً أخرى تتعلق بالمرأة، وقد ذكر ذلك تبارك وتعالى بعد آية تتعلق بالرجال في الموضوع نفسه، فقال تبارك وتعالى قبل هذه الآية مباشرة ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢٣). فغضّ البصر أزكى وأطهر وأنقى للرجل والمرأة معاً، ومن أطلق لبصره العنان، وأخذ ينظر هنا وهناك ولا يرعى حرمة الله تبارك وتعالى، فإنّ هذا ذريعة للوقوع في الفاحشة والمُحرّم؛ إذ النّظر المُحرّم وسيلة للزنا ويريد مُوصل إليه.

وقوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ ذكر هذا القلب العظيم؛ لأنه يقتضي من صاحبه أن يمثل أمر الله تبارك وتعالى، فالمؤمنة الصادقة التي ينطبق عليها هذا الوصف لا تتردد في الاستجابة لأمر الله تبارك وتعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الاحزاب: ٣٦]، كأن تقول: هذا يصلح، أو لا يصلح، هذا يناسبني، أو لا يناسبني، أو نحو ذلك، وإنما تنقاد وتستسلم.

وقوله: ﴿يَغْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾؛ جاء هنا بـ ﴿مِنْ﴾ التي للتبعض؛ فغضض البصر مطلوب في الأمور التي أمر الله تبارك وتعالى بغض البصر فيها، ولهذا سيأتي في الآية استثناءات لم تؤمر بغض البصر عنهم، وفي المطالبة بغض البصر لا فرق بين النظر إلى الرجل مباشرة أو النظر إلى صورته؛ لأن النهاية في الأمرين واحدة.

وفي البدء بغض البصر قبل حفظ الفرج بدءً بوسيلة من الوسائل التي تؤدي المحافظة عليها إلى حفظ الفرج، فالمرأة التي لا تعنى بغض بصرها معرضة لنفسها للخطر؛ لأن الشيطان يستدرجها شيئاً فشيئاً، ولو تأمل الإنسان في بداية النساء الفاجرات اللاتي ابتلن بالفواحش العظيمة وجد أن بدايتهن كانت من هذا القبيل؛ إما أنها أطلقت لبصرها العنان، أو أنها أخذت تنظر في المجالات الخليعة أو في الصور الماجنة، أو تستمع الأغاني الآثمة

أو نحو ذلك من الوسائل المُحرّمة التي تُؤدّي إلى الزّنا، إلى أن أصبحت بتلك الدّرجة والعياذ بالله.

ولهذا بدأ الله تبارك وتعالى بذكر وسيلةٍ من الوسائل المؤدّية للفاحشة، وفي هذا تنبيهٌ على غيرها، فما كان مثلها يفضي إلى الفاحشة فله حكمها؛ ومن ذلك سماعُ الأغاني المُحرّمة، والغناء بريد الزّنا وطريقٌ مُؤدّدٌ إليه، ورؤية الصّور أو المناظر المُحرّمة أو المحادثات المُحرّمة أو الحديث مع النّساء المُبتليّات بمثل هذه الأمور الباطلة، فهذا كلّ مما يُؤدّي إلى الوقوع في هذه الفاحشة.

ثمّ قال: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾؛ حفظ الفرج من أهمّ الأمور التي ينبغي أن تعنى بها المسلمة باتّخاذ كلّ سببٍ يُؤدّي إلى حفظه، والتي تحفظ فرجها تنال بذلك ألقاباً شريفةً كريمةً لا تنالها إلاّ بحفظه، حيث وُصِفَت بالعفيفة، والمُحصنة، والبرّة، والتّقية، إلى غير ذلك من الأوصاف الكريمة؛ فكيف تستبدل هذه الأسماء الجليلة باسم الفسوق!! وكيف تستبدلها بألقاب شنيعة!! كالزّانية، الفاجرة، العاهرة، الخبيثة؛ و﴿بَسَّ الْأَنْتُمْ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [المائدة: ١١].

وقد جاء عن النّبي ﷺ أنّه قال: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ»^(١). وحفظ اللسان سببٌ من

(١) أخرجه البخاري، (٦٤٧٤)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

أسباب حفظ الفرج؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تَكْفُرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا؛ فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اغْوَجَتْ اغْوَجْنَا»^(١). فالأعضاء كلها بما فيها الفرج تبع للسان، وكم من امرأة مؤمنة صالحة عفيفة شريفة تعيش بين أسرتها في إيمانٍ وصلاحٍ وتقوى فجاءها ذئب من الذئاب فأفسدها بلسانه! وأخذ - إمّا عبر الهاتف أو غيره - يحدثها بكلام رقيقٍ وألفاظٍ مُغرِيةٍ، فأفسد عليها عِفَّتَهَا وشَرَفَهَا وكرامتها.

ثمَّ إِنَّ سياق الآية اشتمل على ضوابط عديدة عظيمة مَنْ ترعاها حقَّ رعايتها، وتحافظ عليها تمام المحافظة، فإنَّها توصلها إلى حفظ الفرج وصيانته وسلامته وعِفَّتِهِ:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾؛ أي: الجلباب الذي يغطّي جسم المرأة كاملاً، فإنّه لا حرج عليها فيه، ولا طاقة لها بإخفائه، ولكن عليها أن تراعي فيه أن لا يكون نفسه لباس فتنة، فبعض النساء تنتقي عباءةً مُزَيَّنةً ومُزَخَرَفَةً فيها فتنة للرجال، فتكون بذلك مخالفةً أمر الله تبارك وتعالى في هذه الآية، فعليها أن تستشعر وهي تلبس هذه العباءة أنّها لباس حِشمةٍ، وليست لباس تزين.

وقوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ والخمار: هو الجلباب الذي تغطّي به المرأة جسمها، فإذا كنَّ بحضرة الرجال الأجانب يجب أن

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يُضْرَبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ فَتُغَطِّيَ وَجْهَهَا، وَتُغَطِّيَ يَدَهَا، وَتُغَطِّيَ جِسْمَهَا، وَتُغَطِّيَ زِينَتَهَا؛ لِئَلَّا تَفْتِنَ الرِّجَالَ بِزِينَتِهَا، فَتَكُونَ وَسِيلَةً لِّوُقُوعِ الْفَسَادِ.

﴿وَلَا يُدِيرْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ ﴿لَمَّا نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْ إِبْدَاءِ الزَّيْنَةِ ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا اسْتِثْنَاءَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَكْشِفَ وَجْهَهَا وَيَدَيَهَا عِنْدَهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَلَا يُدِيرْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ الْبُعْلُ: هُوَ الزَّوْجُ، فَتُبْدِي زِينَتَهَا لِزَوْجِهَا، بَلْ إِنَّ الْمَرْأَةَ لَا يُشْرَعُ لَهَا أَنْ تَتَّخِذَ كَامِلَ الزَّيْنَةِ وَأَهْبَاهَا وَأَحْسَنَ زِينَتِهَا إِلَّا عِنْدَ زَوْجِهَا، لَكِنْ بَعْضُ النِّسَاءِ تَعْتَنِي بِالزَّيْنَةِ إِذَا أَرَادَتِ الْخُرُوجَ إِمَّا لِلْمُنَاسَبَاتِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، أَمَّا عِنْدَ زَوْجِهَا لَا تَتَّخِذُ زَيْنَةً أَبَدًا أَوْ تَتَّخِذُ زَيْنَةً ضَعِيفَةً!! وَهَذَا مِنَ الْإِنْتِكَاسِ فِي الْفَهْمِ.

﴿وَلَا يُدِيرْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ فكل هؤلاء محارم لها.

﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أي: يجوز للنساء أن ينظر بعضهن إلى بعض مطلقاً، ويحتمل أن الإضافة تقتضي الجنسية، أي: النساء المسلمات، اللاتي من جنسكم، ففيه دليل لمن قال: إِنَّ الْمُسْلِمَةَ لَا يَجُوزُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهَا الدِّمِيَّةُ.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فيجوز للمملوك إذا كان كله للأنثى أن

ينظر إلى سيّدته، ما دامت مالكة له كلّها؛ فإن زال الملك أو بعضه لم يجز النّظر.

﴿أَوِ التَّبَعِيعَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ أي: أو الذين يتبعونكم، ويتعلّقون بكم من الرّجال الذين لا إربة لهم في هذه الشهوة، كالمعتوه الذي لا يدري ما هنالك، وكالعِين الذي لم يبق له شهوة، لا في فرجه، ولا في قلبه، فإنّ هذا لا محذور من نظره.

﴿أَوِ الطِّفْلَ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ أي: الأطفال الذين دون التمييز؛ فإنّه يجوز لهم النّظر إلى النساء الأجانب، وعللّ تعالى ذلك بأنهم ﴿لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ أي: ليس لهم علمٌ بذلك، ولا وُجِدَتْ فيهم الشهوة بعد، ودلّ هذا أنّ المميّز تسبّر منه المرأة؛ لأنّه يظهر على عورات النساء.

وعندما نتأمّل هذا السياق؛ هل يدخل السائق والخادم في ضمن هؤلاء أو لا يدخل؟ هل استثناه الله تبارك وتعالى في هذه الآية من ضمن من استثنى بأن تكشف له المرأة وجهها أو تبدي له زينتها؟ حاشا والله، لم يُسْتثنَ؛ بل هو رجل أجنبيّ يجب على المرأة أن تحتجب عنه، وقد وقع بسبب التّفريط بهذه الأحكام فواحش كثيرة يندى لها جبين المؤمن إمّا عن رضا أو عن اغتصاب، وهذا كلّ نتج عن إهمال أوامر الله التي فيها الصّيانة

والعِفَّة في الدنيا والآخرة.

ثم قال: ﴿وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ ﴿١﴾ وهذه أيضًا من الأمور التي فيها صيانة المرأة وعفتها؛ فإذا كانت المرأة مثلاً تلبس الخلخال الذي في رجلها لا يجوز لها أن تضرب برجلها حتى تلفت أنظار الرجال الأجانب إليها؛ لأنها تكون فاتنة لهم إذا فعلت ذلك، ومن ذلك - أيضًا - إذا كانت تلبس الحذاء الذي له صوتٌ ذي الكعب العالي؛ لأنه يظهر عجز المرأة ولأنه يحدث الأصوات التي تلفت أنظار الرجال، والمرأة المؤمنة العفيفة الصالحة تتباعد عن ذلك وتختار لنفسها الأحذية التي لا تؤذي إلى هذا الذي حرّمه الله.

ثم ختم الله تبارك وتعالى هذه الآية الكريمة بخاتمة عظيمة مهمة جدًا، فقال جلّ وعلا: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢١﴾، فمن كانت مُضِيعَةً مفرطَةً فلتبادِرْ للتوبة لتكون من حزب الله المفلحين.



نصيحة وتهنئة

تتأكد في هذا الزّمن على وجه الخصوص - زمنِ الفتن المتكاثرات، والمُلهيات المتنوّعات، والصّوارف المتعدّدات التي شغلت كثيرًا من النّاس عن الغاية التي خلقوا لأجلها وأوجدوا لتحقيقها - الوصيّة بتقوى الله جلّ وعلا، وطاعته سبحانه، ولزوم شرعه الحكيم نصحًا للعباد ومَعذرةً إلى الله تبارك وتعالى، ويتأكدُ هذا الأمرُ في شأن المرأة على وجه الخصوص لا سيّما والتركيز في هذا الزّمن عليها؛ مؤامراتُ تحاك وخططُ تدبّر، ومآل ذلك إطاحةٌ بحشمة المرأة وعفّيتها، وسرّتها وحيائها، وكرامتها وفضيلتها، ﴿وَاللّٰهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) [سُورَةُ النِّسَاءِ].

ويتأكد على المرأة خاصّةً والأمر يعينها بالدرجة الأولى أن تتقي الله جلّ وعلا ربّها، وأن تعرف حقّه عليها وما أمرها سبحانه به وما جاء عن الرّسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - من توجيهات عظيمة وإرشادات مسدّات فيها عفة المرأة وعزّها وفضيلتها وسعادتها في الدّنيا والآخرة.

والمرأة الحصيْفَة العاقلة النّاصحة لنفسها لا تلتفت لما يقوله

الهمَل من النَّاسِ مَمَّنْ يريدون إضاعةَ شَرَفِهَا وَعِزَّتِهَا، وَإِنَّمَا تَصَوَّبُ نَظَرَهَا لَمَّا جَاءَهَا عَنْ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي هَذَا الْمَقَامِ أوردُ ثَلَاثَةَ أَحَادِيثٍ عَظِيمَةٍ صَحَّحَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَدْعُو الْمَرْأَةَ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ أَنْ تَتَأَمَّلَهَا تَأَمُّلاً دَقِيقاً، وَتَقِفَ عَلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَضَامِينِ عِظَامٍ.

١ - رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِيهِمَا»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تَكْثُرُنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لَلْبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ».

٢ - وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ «السُّنَنِ»^(٢) عَنْ أَبِي أَدَيْنَةَ الصَّدْفِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْمُوَاتِيَةِ الْمُوَاتِيَةِ إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ، وَشَرَّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتِ الْمُتَخَيَّلَاتِ وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ؛ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ».

٣ - وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى»^(٣) عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ

(١) الْبُخَارِيُّ (٣٠٤)، وَمُسْلِمٌ (٧٩).

(٢) بِرَقْم (١٣٤٧٨).

(٣) بِرَقْم (٩٢٢٣).

بن ثابت قال: «كنا مع عمرو بن العاص رضي الله عنه في حجٍّ أو عمرة، فلَمَّا كُنَّا بِمَرِّ الظُّهْرَانِ، إِذَا نحنُ بامرأةٍ في هَوْدَجِهَا واضعةٌ يدها على هَوْدَجِهَا، فلَمَّا نزل دخل الشَّعْبَ ودخلنا معه، فقال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في هَذَا الْمَكَانِ، فَإِذَا نحنُ بِغِرْبَانٍ كَثِيرٍ فِيهَا غَرَابٌ أَعْصَمُ أَحْمَرُ الْمُنْقَارِ وَالرَّجْلَيْنِ، فقال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا كَقَدَرِ هَذَا الْغُرَابِ مَعَ هَذِهِ الْغِرْبَانِ». ورواه الحاكم في «مستدركه»^(١) وقال: «وَاضِعَةٌ يَدَهَا عَلَى هَوْدَجِهَا فِيهَا خَوَاتِيمٌ»، ورواه أبو يعلى في «مسنده»^(٢) وقال: «إِذَا نحنُ بامرأةٍ عليها جبائر - أي: أساور في معصمها من ذهب أو فضة - لها، وخواتيم، وقد بَسَطَتْ يدها إلى الهودج».

أَيَّتْهَا الْمَرْأَةُ: تَأْمَلِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الثَّلَاثَةَ تَأْمُلًا عَظِيمًا؛ ذَكَرَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - النَّارَ وَأَخْبَرَ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ، وَذَكَرَ الْجَنَّةَ وَذَكَرَ قِلَّةَ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنَ النِّسَاءِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ تَقْنِيطًا لِلْمَرْأَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَا تَيْئِسًا لَهَا مِنْ رَوْحِهِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - نُصْحًا لِلنِّسَاءِ وَتَحْذِيرًا لَهُنَّ مِمَّا يُوْجِبُ سَخَطَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَعَقُوبَتَهُ، وَمِمَّا يَفْضِي بِالْمَرْأَةِ إِلَى دُخُولِ النَّارِ وَإِلَى تِلْكَ الْعُقُوبَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي تِلْكَ الْأَحَادِيثِ.

(١) برقم (٨٧٨١).

(٢) برقم (٧٣٤٣).

أليس من الجدير بالمرأة أن تقف وقفة صادقة مُتأملَةً في هذه الأحاديث ناظرةً في سبب هذا الوعيد، مُتَجَنِّبَةً كُلَّ مَا يُسَخِّطُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلا!! وَقَدْ نَصَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام - عَلَى السَّبَبِ الْأَعْظَمِ وَالْبَلِيَّةِ الْكَبْرَى الَّتِي أُوجِبَتْ لكَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ تِلْكَ الْعُقُوبَةُ إِلَّا وَهِيَ: التَّبَرُّجُ وَالسُّفُورُ وَالْخِيَلَاءُ وَمُمَارَسَةُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَالْعَمَلُ عَلَى فِتْنِ الرِّجَالِ حَتَّى قَالَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»^(١).

فالمرأة العاقلة تَرَبَّأَ بِنَفْسِهَا أَنْ تَكُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَأَنْ تَكُونَ بِهَذِهِ الْحَالِ خَشِيَةً أَنْ تَبُوءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِتِلْكَ الْعَاقِبَةِ الْوُخِيمَةِ وَالنَّهْيَاةِ الْأَلِيمَةِ.

وَتَأْمَلِي - رَعَاكَ اللَّهُ - لِمَا رَأَى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه تِلْكَ الْمَرْأَةَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مَبْرُزَةً يَدُهَا مُبْدِيَةً مَحَاسِنَهَا مِنْ ذَهَبٍ وَحُلِيِّ فِي يَدِهَا وَاضِعَةً يَدُهَا عَلَى هَوْدَجِهَا تَذَكَّرَ وَعِيدَ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام - لِلنِّسَاءِ، فَكَيْفَ بِهِ لَوْ رَأَى كَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ فِي سُفُورٍ وَتَبَرُّجٍ، وَتَجَمُّلٍ وَتَزَيَّنٍّ، وَتَعَطُّرٍ وَإِظْهَارٍ لِلْمَحَاسَنِ فِي صُورٍ مُزْرِيَةٍ!! أَفَلَا يَتَّقِينَ اللَّهَ؟! أَوَلَا يَخْشَيْنَ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟!!

فماذا ترجو المرأة سواءً في دنياها أو في آخرها عندما تتبرَّج،

وعندما تبدي زينتها، وعندما تخالط الرجال، وعندما تعمل قصداً على فتحهم ولفَتْ أظفارهم إليها؟! أيّ خيرٍ ترجوه بمثل هذه الأعمال وأيّ فضيلة تؤملها؟! إنه والله الخسران العظيم، والشرّ الكبير، والبلاء المستطير.

أمّا المرأة العاقلة فإنّها بعيدةٌ كلّ البعد عن هذه الأعمال، خائفةٌ من الله ربّ العالمين ذي الجلال والكمال، حريصةٌ على طاعة الله ونيل رضاه.

ولتأمل المرأة في هذا المقام ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»^(١) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا؛ قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ»؛ فهنيئاً للمرأة المسلمة هذا الموعود الكريم والفضل العظيم إن عاشت حياتها مطيعةً لله، ممثلةً أوامره سبحانه مبتعدةً عن نواهيه، فإن عاشت حياتها كذلك فإنّها تعيش عيشةً كريمةً وحياةً طيبةً، ولها يوم القيامة موعودٌ كريم وفضل عظيم وذلك برضا الرّبّ جلّ وعلا عنها ودخولها جنّات النعيم ونجاتها من عذاب الله تبارك وتعالى، أمّا إذا اغترّت المرأة بزخرف الحياة الدّنيا وفتنها المتنوّعة ولهوها الباطل وزيفها المنصرم فإنّها تفتن

في دينها ويضيع منها خلقها وتذهب عنها عفتها وترحل عنها الأخلاق والقيم والآداب.

ولهذا فإن على المرأة المسلمة أن تتقي الله جلّ وعلا وأن تحافظ على طاعة الله وأن تمثل أوامره جلّ وعلا، وأن تبعد كل البعد عن أسباب الزیغ والانحراف، وعلى أولياء الأمور أن يتقوا الله في نسائهم وبناتهم، وأن يحققوا القوامة فيهن بحسن رعايتهن وتمام تأديبهن وأخذهن بآداب الشريعة وضوابطها القويمة المستقيمة.

والمرأة ضعيفة والتأثير فيها سريع جداً؛ تسمع عبارات مغرية وكلمات مزينة وألفاظاً فاتنة وأقوالاً يدعى أنها من باب النصيحة لها فتفتن بذلك كله، لكن على المرأة أن تكون يقظة فطنة، وأن يكون بين ناظرها مخافة ربّها، وتذكر الوقوف بين يدي الله عزّ وجلّ وأن الله عزّ وجلّ سألها عمّا جاء في كتابه وسنة نبيّه ﷺ، وعليها في هذا المقام أن تكثّر من الدعاء وأن تلحّ على الله جلّ وعلا أن يحفظها من الفتن وأن يستر عورتها وأن يؤمّن روعتها وأن يحفظها بما يحفظ به عباده الصّالحين، فالدعاء مفتاح كلّ خير في الدنيا والآخرة، ومع الدعاء تبذل الأسباب النّافعات للسلامة والنّجاة والخلاص والفكاك من تلك الأمور المهلكات.



نعمة اللباس، والفتنة فيه

إِنَّ ذِكْرَ النِّعْمَةِ سَبَبٌ لِّشُكْرِ الْمُنْعِمِ سُبْحَانَهُ، وَالشُّكْرُ سَبَبٌ لِّلْمَزِيدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٧].

وَإِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى عِبَادِهِ نِعْمَةُ اللَّبَاسِ بِأَنْوَاعِهِ الْمَخْتَلِفَةِ وَأَصْنَافِهِ الْعَدِيدَةِ؛ فَهِيَ نِعْمَةٌ عَظُمَى وَمِنَّةٌ كَبْرَى، وَلِذَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَدَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ وَذَكَرَهَا سُبْحَانَهُ فِي جُمْلَةِ نِعَمِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي عَدَّهَا فِي سُورَةِ النَّحْلِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِسُورَةِ النَّعْمِ؛ لِكَثْرَةِ مَا عَدَّدَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ نِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، حَيْثُ جَاءَ فِي خَاتِمَةِ هَذِهِ النَّعْمِ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ [٨٠] وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ [٨١] فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلِغُ الْمُمِينُ [٨٢] يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ [٨٣] [سُورَةُ النَّحْلِ: ٨٣]، فَبَيْنَ جَلِّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ نِعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ بِأَنْ جَعَلَ لَهُمْ سَرَابِيلَ وَهِيَ

القمصان ونحوها من ثياب القطن والكتّان والصّوف يتّقون بها الحرّ والبرد ويتجمّلون بها ويسترون بها عوراتهم.

فلا ريب أنّ اللباس نعمة عظيمة ومنّة كبيرة يجب على عبد الله المؤمن أن يقوم بشكرها، وأن يستعملها في طاعة الله ورضوانه وما يقرب إليه، وأن يحذر أشدّ الحذر من مخالفة أمر الله في اللباس في صفته ونوعه وشروطه وضوابطه وآدابه التي جاءت بها الشريعة.

وليحذر المسلم في هذا الباب من كيد الشيطان ومكره وطرقه الخفية لصدّ الإنسان عن الحق في هذا الباب وإيقاعه في أنواع من المخالفات، فقد بين الله تعالى أنّ عداوة الشيطان للإنسان في هذا الأمر وغيره قديمة، وذكر سبحانه في القرآن احتياله على الأبرار ووسوسته لهما ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سواتيهما، ودخل عليهما في هذا الأمر من طرق خفية، وظهر لهما بصورة الناصح الأمين، وحلف لهما على ذلك، ودلاهما بغرور، أي أنزلهما عن ربّتهم العلية التي هي البعد عن المعاصي والذنوب إلى الوقوع فيها.

يقول الله تعالى: ﴿وَيَكَادُمْ أَصْنُفُ أَنْتَ وَرَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝١٩﴾ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَائِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ۝٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا

الشَّجَرَةَ وَأَقْلَ لَكُمْ إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبَّنَا طَلَعْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، فتداركهما الله برحمته ومن عليهما بعفوه فغفر لهما ذلك، كما قال سبحانه: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَأَبَىٰ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [سُورَةُ طه].

هذا وإبليس مستمرٌّ في طغيانه، غيرٌ مُقلعٍ عن عصيانه، حريصٌ أشدَّ الحرص على إغواء الذرية كما أغوى الأبوين، ولهذا اتجه الخطاب في هذا السياق الكريم إلى الذرية للحذر من هذا المضلّ الفتان من أن يفتنهم بالوسوسة كما فعل مع الأبوين، قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيْ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤْرَىٰ سَوَاءَ تَكْمُ وَرِدْشًا وَلِيَاسُ النَّفْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ].

وهنا ذكر الله جلّ وعلا النعمة على عباده باللباسين:

- ❖ لباس الباطن بالتقوى، وهو يستمر مع العبد ولا يئلى ولا يبيد ما حافظ عليه العبد، وهو جمال للقلب والروح.
- ❖ ولباس الظاهر بالثياب التي تستر العورة وتواري السوء وتكون جمالاً للناس.

وإذا فقد الإنسان لباسه الظاهر أو نزعه بدت سوأته، وفي هذا دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور، وأنه مُستهجن في الطباع، ولذلك سُميت سَوَاءً؛ لأنه يسوء صاحبها انكشافها، وأما

اللباس الباطن وهو التَّقْوَى فبتقدير عدمه فإنها تنكشف عَوْرَتِهَا الباطنة، ويناله الخزي والفضيحة، ويقعُ في أنواع الفساد والرذيلة، ويتعرَّى بذلك من كِسَاء الحياء والخوف والمراقبة والسِّر والعِفَّة وغير ذلك، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾؛ لَأَنَّهُ يترتب على صلاحه صلاح الظاهر، ويترتب على فساده فساد الظاهر؛ فإذا ازدانت القلوب بالتَّقْوَى زانت الأبدان، وصلحت الأعمال، وتجمّلت الجوارح بالحِشمة والعفاف والسِّر والحياء والمراقبة لله تبارك وتعالى، وإذا انتزعت التَّقْوَى من القلوب وذهب عنها هذا اللباس العظيم انحطت الأبدان في أنواع كثيرة من الرذائل، وصنوف عديدة من الخسائس.

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْطَانَ عداوته للإنسان في لباسه قديمةٌ جدًّا وكيدُهُ له فيه قديمٌ؛ يكيد للإنسان كيدًا عظيمًا لِيُجَرِّدَهُ من لباسه وليكشفَ عَوْرَتَهُ وليُجَرِّدَهُ من حيائه وحِشْمَتِهِ، ولهذا قال الله تعالى بعد تذكيره بهذه النعمة موجِّهاً الخطاب للذَّريَّة: ﴿يَبْنِيْٓ أَدَمَ لَا يَقْنَنُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ۚ إِنَّهُ يَبْدُوَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، فحذَّر سبحانه الذَّريَّة من أن يفعل بهم الشَّيْطَانُ كما فعل بأبيهم بأن يُزَيِّنَ لهم المعاصي ويرغِّبهم في المحرِّمات ويوقعهم في الخطيئة، وأخبر سبحانه أن هذا العدو

يراهم من حيث لا يروّنه، قال مالك بن دينار: «إنّ عدوّاً يراك ولا تراه لشديد المؤنة؛ إلّا من عصم الله»^(١).

وإذا كان هذا العدو قد تمكّن ببالغ كيده وشدة مكره وتوالي وسوسته أن يُخرج الأبوين من الجنة؛ فلأنّ يتمكّن من إيصال شيء من هذه المضارّ وإلقاء شيء من هذه الوسوس إلى الذرّة من باب أولى، ولا سيّما النساء لشدة ضعفهنّ وقلة إدراك كثير منهنّ.

وبهذه اللّفة القويّة حذّر تعالى بني آدم منه بالاحتراز الدائم من كيده ووسوسته، وختم سبحانه الآية بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أمّا المؤمنون فليس له سلطان عليهم ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة النّازعات]، ولهذا فبقدر ضعف الإيمان في الإنسان يكون نفوذ الشيطان إليه، وهي خطوات يتدرّج بها الشيطان مع الإنسان إلى أن يوقعه في الحضيض، وفي حمأة الرذيلة، وفي شدة الفساد، ولا سيّما مع المرأة حيث يستغلّ ضعفها ونقص عقلها ودينها فيوقعها في أنواع من التّجرّد من اللباس والتّعري من الفضائل عبر خطوات عديدة وكيد متواصل، إلى أن آل الأمر في بعض النساء إلى الخروج بادية

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٤٦٠).

الرؤوس والأعناق والمعاصم والأذرع والسُّوق ونحو ذلك، نزعاً للحياء، وانغماساً في الوباء.

ثم إنَّ الله تبارك وتعالى خاطب بني آدم خطاباً آخر في هذا السياق له تعلق باللباس فقال سبحانه: ﴿يَبْنِي ءَادَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ]، فأخبر سبحانه أنه أخرج لعباده الزَّيْنَةَ من أنواع اللباس على اختلاف أصنافه، والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ من مأكَلٍ ومشْرَبٍ بجميع أنواعه، وجميع هذه الأشياء الأصل فيها الإباحة والحِلُّ إلا ما جاءت الشريعة بتحريمه من ذلك، وليس لأحد أن يحرم شيئاً من ذلك إلاَّ بدليل شرعي صريح، ولذا قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، أي مَنْ هذا الذي يُقَدِّم على تحريم ما أنعم الله على العباد؟ ومن ذا الذي يُضَيِّق عليهم ما وسَّعه الله؟ ولهذا فالأصل في العادات من المأكَل والمشارب والملابس والذَّهَاب والمجْهِيء والكلام وسائر التَّصَرُّفَاتِ الْمُعْتَادَةِ الحِلُّ، فلا يحُرِّمُ منها إلاَّ ما حرَّمه الله ورسوله، إمَّا بنصٍّ صريح أو يدخل في عموم أو قياسٍ صحيح، وإلاَّ فسائر العادات حلال، كما دلَّ على ذلك النَّصُّ الْمُتَقَدِّمُ، وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ

كَمِيعًا ﴿[الفقه: ٢٩]، وغيرهما من النصوص، فالله جلّ وعلا أمر عباده باللباس ولم يُعيّن نوعاً منه يجبُ التزامه، وإنّما الأمر في ذلك عائِدٌ إلى عادات الناس وأعرافهم، فالأصل في اللباس الإباحة كما قال نبينا - عليه الصّلاة والسّلام -: «كلوا، واشربوا، والبسوا، وتصدّقوا، في غير إسرافٍ ولا مخيلة»^(١). قال ابنُ عبّاسٍ: «كلّ ما شئتَ، والبس ما شئتَ، ما أخطأتكَ اثنتان: سرفٌ أو مخيلة»^(٢)، لكن جاءت الشريعة بجملة من الصّوابط والشروط والقيود لا بدّ من مراعاتها في اللباس، فهي تكفل للإنسان سعادته وحشمته وفلاحه في دنياه وآخره، ولهذا يجب على كلّ مسلم أن يتقيّد في لباسه بضوابط الشريعة وقيود الإسلام - وقد بسطها أهل العلم في مؤلّفات عديدة - لتتحقّق له الفضيلة وليتمّ له الكمال.

والفتنة في اللباس تأخذُ أبواباً عديدةً ومجالاتٍ مُتنوّعةً، والحديث عن أنواع اللباس التي زُجّ بها لتوريط المرأة فيها واسعٌ جدّاً، حتّى إنّّه بات من المُعضلات أن يجد أهل الفضل والخير لباساً مُحْتَشِماً يشترّونه لنسائهم وبناتهم.

(١) رواه البخاري معلقاً في «كتاب اللباس»، ووصله أحمد (٦٦٩٥)، والنسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري معلقاً في «كتاب اللباس»، ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٨٧٨).

والواجب على المرأة أن تحذر أشد الحذر من كيد الأعداء ووساوس الشيطان في خطواتٍ لهم جريئة نحو تجريد المرأة من لباسها وتعريضها من حشمتها في ثياب كثيرة استجلبت إلى أسواق المسلمين توريطاً للمرأة المسلمة وإيقاعاً لها في حمأة الشر، وشغلها بأنواع من الألبسة الكاسية العارية، وتهيج قلبها إلى حب التشبه بغير المسلمات ممن يمشين على الأرض دون إيمانٍ يردع أو خلقٍ يزع أو أدبٍ يمنع، وجرها من وراء ذلك كله إلى منابذة الشريعة، وجر أذيال الرذيلة، والبعد عن منابع العفة والفضيلة، وفي صحيح مسلم^(١) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَحِذْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

ومما ينبغي أن يُعلم أن ستر المرأة وحشمتها وحياءها عائدٌ إلى قوة إيمانها ودينها، ويُنظر في هذا على سبيل المثال إلى حال أم سلمة رضي الله عنها لما ذكر النبي ﷺ أن المرأة تزخي شبراً قالت: «إذا ينكشف عنها» فقال النبي ﷺ: «تزخي ذراعاً، لا

تَزِيدُ عَلَيْهِ»^(١).

أَمَّا مَنْ رَقَّ دِينُهَا وَضَعُفَ إِيمَانُهَا؛ فَإِنَّ هَمَّتْهَا مُتَّجِهَةٌ إِلَى
الكشفِ شِبْرًا أَوْ ذِرَاعًا أَوْ أَزِيدَ بِحَسَبِ رَقَّةِ الدِّينِ، وَرَبَّمَا زَعَمَتْ
أَنَّ فِي ذَلِكَ تَحْضُرًا وَتَمَدُّنًا وَرُقِيًّا، وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ إِلَى الْحُضِيضِ وَإِلَى
الهِلَاكِ.

فَلْتَقِ اللَّهَ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ، وَلْتَرَأَقِبْ رَبَّهَا جَلًّا وَعَلَا فِي السِّرِّ
وَالْعَلَانِيَةِ، وَلْتَعْلَمْ أَنَّ سِتْرَهَا وَلِبَاسَهَا يُعَدُّ حِشْمَةً لَهَا، وَصِمَامَ أَمَانٍ
لَهَا يَحْفَظُهَا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ وَعَادِيَاتِ السُّوءِ.



(١) أخرجه أبو داود (٤١١٧)، والترمذي (١٧٣٢)، وابن ماجه (٣٥٨٠).

زينة الإيمان

زينة الإيمان تلکم هي الزينة العظيمة والحلیة البهیة الجميلة؛ التي مَنْ وُقِّقَ للتَّحَلِّي بها والتَّجَمُّلُ بها والتَّزَيَّنَ بها فقد وُقِّقَ لأعظم الخير وسعد في دنياه وأخراه؛ إذ هو الزينة الحقيقية والحلیة التي لا نَظِيرَ لها ولا مِثْلَ، وَمَنْ عَرِيَ عن هذه الزينة فإنه فاقِدٌ للجمال وإن كان مُتَحَلِّيًا بأبهى الحُلل وأحسن الثياب، ولَمَّا ذَكَرَ اللهُ ﷻ في سورة الأعراف نعمة اللباس وإنزاله للناس ليكون لهم زينةً وستراً وجمالاً قال ﷻ في ذلك السِّياق الكريم: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، إذ إِنَّ لِبَاسَ التَّقْوَىٰ وحلیةَ الإيمان هو الحلیة الحقيقية والزينة التامة الكاملة التي مَنْ فَقَدَهَا فَقَدَ الخيرَ والفضيلةَ وفَقَدَ الحُسْنَ والجمالَ، فأَيُّ جمالٍ يُتَصَوَّرُ بدون إيمان!! وأيِّ حلاوةٍ وحُسْنٍ تتصوَّرُ بدون تقوى الرحمن ﷻ!! نعم قد تكون هناك مظاهرٌ زائفةٌ، وأمورٌ يَفْتَنُ بها الناس ويظنون أنهم بها على أكمل زينةٍ وأحسنِ حلیةٍ، إلا أنهم بفقدِهم لزينة الإيمان وحلاوة الإيمان يكونون فاقِدِينَ للزينة الحقيقية والجمال الحقيقي.

ولقد امتنَّ اللهُ ﷻ على أهل الإيمان بأن أكرمَهُم بهذه الزينة، وجَمَّلَهُم بهذه الحلیة، وأصبحوا لمخالطة الإيمان قلوبَهُم،

ولَذَوَّقَهُمْ طَعْمَهُ وحلاوته، ولمعرفتهم بقدره ومكانته؛ يحسُّون بمكانة هذه الزينة، ويجدون ذلك في قلوبهم، قال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنْ وَرَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾، والشاهد قول الله ﷻ: ﴿وَرَيْنَهُ﴾ أي: الإيمان ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾؛ فأصبح قلبُ المؤمن الذي منَّ الله ﷻ عليه بذوق هذه الحلاوة وشهود هذا الطعم والهناء بهذه اللذة يجد هذه الزينة في قلبه، ويحسُّ أنَّ هذه الزينة التي منَّ الله ﷻ عليه بها وأكرمه بأن جعله من أهلها هي الزينة الحقيقية والجمال الحقيقي، فلا يغترّ بالمظاهر الزائفة التي تكون لأناسٍ مُعوفاً وصارفاً عن تحقيق الإيمان وتتميمه وتكميله؛ بل لقد آل الأمر ببعض الناس إلى أن أصبحوا في البحث عن الزينة الموهومة يخالفون شرعَ الله ويعصون رسوله ﷺ ويخالفون الفطرة السليمة التي خلقهم الله ﷻ عليها وهم في توهمهم الخاطئ يظنون أنَّهم بذلك يحققون الزينة والحلية لأنفسهم، وأنَّهم يكتسبون بذلك حسناً وجمالاً، وهيئات ثمَّ هيئات أن يُكتسب الجمال بعصيان الرحمن، وأن تنال الحلية بمخالفة الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام -، وواقع هؤلاء أنَّهم يعيشون أوهاماً زائفةً وظنوناً فاسدةً وتحولاتٍ في الفطر القويمة والعقول المستقيمة.

والعاقِل يَبْنِي حَلِيَّتَهُ وَزِينَتَهُ فِي ضَوْءِ مَا حُدَّ لَهُ فِي شَرَعِ اللَّهِ الْمُطَهَّرِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ وَبَرَكَاتِهِ عَلَيْهِ، وَفِي الدَّعَاءِ الْمَأْثُورِ عَنْ نَبِيِّنَا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهُوَ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» لِلنَّسَائِيِّ وَغَيْرِهِ بِسَنَدٍ ثَابِتٍ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ أَدْعِيَةِ الصَّلَاةِ، يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «اللَّهُمَّ زَيْنًا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»^(١). فَيَسْأَلُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - رَبَّهُ هَذَا السُّؤَالَ الْعَظِيمَ وَالْمَطْلَبَ الْجَلِيلَ وَالْمَقْصِدَ النَّبِيلَ؛ وَهُوَ التَّزْيِينُ بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَالتَّجَمُّلُ بِجَمَالِ التَّقْوَى، ﴿وَلْيَأْسُ النَّفُوسُ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

وَهَذَا التَّزْيِينُ وَالتَّجَمُّلُ بِحِلْيَةِ الْإِيمَانِ وَزِينَتِهِ يَتَطَلَّبُ مِنَ الْعَبْدِ الْمَوْفُوقِ مُجَاهَدَةً لِلنَّفْسِ وَاسْتِعَانَةً بِاللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «أَحْرِضْ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ»^(٢). فَيُجَاهِدُ نَفْسَهُ عَلَى التَّحَقُّقِ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ سَاعِيًا فِي تَكْمِيلِ نَفْسِهِ بِذَلِكَ وَتَتِمِيمِ جَمَالِهِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ بِتَحْقِيقِ ذَلِكَ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ يَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ مَدَّةً وَعَوْنَهُ.

وَزِينَةُ الْإِيمَانِ هِيَ زِينَةٌ تَتَنَاوَلُ ظَاهَرَ الْعَبْدِ وَبَاطِنَهُ؛ فَهِيَ زِينَةُ اللَّقْلِ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَأَصُولِ الدِّينِ، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ: أَصُولُ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

الإيمان التي يقوم عليها دينُ الله وتقوم عليها هذه الزينة «أَنْ تَوْمُنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَوْمُنَ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرُّهُ»^(١). وهي أصول وأسس يقوم عليها هذا الجمال العظيم والزينة العظيمة؛ زينة الإيمان، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]، وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ١٣].

فهذه أسسُ يُبنى عليها هذا الجمال العظيم وتقوم عليها شجرة الإيمان التي لا أزينَ منها وأحسن، فقيامها على أصل ثابت، ومنه تتفرع الفروع الجميلة البهيّة الحسنة - فروع الإيمان - وهي أنواع الطاعات وصنوف القربات التي يتقربُ بها المسلم لربه جلّ وعلا، ثم بعد ذلك تأتي الثمار الجميلة الحسنة البهيّة التي يجنيها المؤمن ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [البقرة: ٢٥]، فلا يزال المؤمن يجني من ثمار هذه الشجرة الجميلة البهيّة في كلِّ وقتٍ

(١) أخرجه مسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وحينٍ في دنياه وأخراه؛ من سعادةٍ، وراحة قلبٍ، وقرّة عينٍ، وهناءةٍ نفسٍ، وسعةٍ رزقٍ، وذهاب همٍّ، وزوال غمٍّ إلى غير ذلك من الثمار في هذه الحياة الدّنيا، وثواب الآخرة خيرٌ وأبقى.

ثمَّ إنّ تزيّنَ الظّاهر وتجمّلَه بزينة الإيمان إنّما يكون بلزوم فرائض الدّين وواجبات الإسلام والشّرائع الّتي أمر بها العبدُ وفي مقدّمة ذلك مباني الإسلام الخمسة الّتي قال عنها النّبيّ - عليه الصّلاة والسّلام - في حديث ابن عمر: «بُنِيَ الإسلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١). فَإِنَّ هَذِهِ الْأَعْمَالَ الْمُبَارَكَةَ وَالطَّاعَاتِ الْعَظِيمَةَ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ زِينَةُ الْمُسْلِمِ وَجَمَالُ، إِضَافَةً إِلَى كَوْنِهَا سَبَبَ فَلَاحِهِ وَسَعَادَتِهِ فِي دُنْيَاهُ وَأَخْرَاهُ؛ فَالصَّلَاةُ نُورٌ لِمُصَاحِبِهَا وَبِهَاءٌ وَحُسْنٌ، وَكَذَلِكَ عُمُومُ الطَّاعَاتِ لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَزْدَادُ بِهَا حُسْنًا وَبِهَاءً، بِخِلَافِ الْمَعْرِضِ عَنِ دِينِ اللَّهِ ﷻ؛ فَإِنَّ الْخَطِيئَةَ وَالْمَعْصِيَةَ وَالْبَعْدَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ ظِلْمَةٌ فِي الْوَجْهِ وَوَحْشَةٌ فِي الصَّدْرِ، وَكَذَلِكَ النُّكُوصُ عَنِ شَرَعِ اللَّهِ ﷻ بِمُمَارَسَةِ الْبِدْعِ الْمُحَدَّثَاتِ يَسَبِّبُ ذَلِكَ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صَاحِبُ الْبِدْعَةِ عَلَى وَجْهِهِ ظِلْمَةٌ؛ وَإِنْ أَذْهَنَ فِي الْيَوْمِ ثَلَاثِينَ مَرَّةً»^(٢). أَي: أَنَّ

(١) أخرجه البخاري (٨)، واللفظ له، ومسلم (١٦).

(٢) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/١٥٩).

وضعَ الدّهون على البدن للتّجميل والتّحسين لا تذهب ظلمة البدعة وظلمة المعصية لله ﷻ من الوجوه.

وكذلك من الجمال العظيم عناية المسلم بآداب الشريعة وأخلاق الإسلام؛ فإذا أكرم الله ﷻ عبده بالتّحلي بالآداب الفاضلة والأخلاق الكاملة والمعاملات الرّفيعة؛ فإنّ كلّ من يخالطه يحسُّ بهذا الجمال ويلمس هذا الحُسن الذي يكسو من كان مُتَحليًا مُتَجَمِّلًا مُتَزَيِّنًا بأخلاق الإسلام الفاضلة، وقد أتى نبينا - عليه الصّلاة والسّلام - بالآداب الكاملة والأخلاق الرّفيعة الفاضلة التي تسمو بصاحبها في عالي الدّرجات ورفيع الرّتب، إضافةً إلى ما أعدّه الله ﷻ لذوي الأخلاق الرّفيعة من أجرٍ وثوابٍ، حتّى إنّ النّبى ﷺ سئل عن أكثر ما يدخل النّاس الجنّة فقال: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١). وقال - عليه الصّلاة والسّلام - : «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٢). وقال: «أَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٣). والأحاديث في هذا الباب عديدة.

ثمّ إنّ ممّا هو داخل في هذه الزّينة - زينة الإيمان وجمال هذا الدّين -: بُعْدُ الْعَبْدِ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ وَبُعْدُهُ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه أحمد (٨٩٥٢) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، من حديث جابر ؓ، وأصله في «الصحيحين».

ﷻ لم يحرم على عباده شيئاً إلا لما فيه من المَصْرَّة عليهم في العاجل والآجل، فالمعصية وإن مالت إليها النفس وتطلعت في بعض الأوقات لفعلها وتشوّفت للوقوع فيها هي في الحقيقة هلكة للإنسان في دنياء وأخراه وإذهابٌ لبهائه وحسنه، وإذا خطا في المعصية خطواتٍ كان بكلّ خطوةٍ يخطوها في المعصية يفقدُ حظاً ونصيباً من زينة الإيمان وجماله بحسب ذلك.

وأختم هذه النصائح والتوجيهات بما ابتدأت به أولاً، وهو خاتمة دعوى أهل الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [سورة النازعات: ١٠].

وبالله وحده التّوفيق، لا شريك له، وأسأله سبحانه أن يوفق أخواتي المسلمات لحسن الانتفاع، وأن يهدينا أجمعين صراطه المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النّبیین والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، وحسُن أولئك رفيقاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.



فهرس الموضوعات

- * مقدمة ٣
- * أصول عظيمة..... ٥
- * هدايات القرآن للمرأة المسلمة..... ١٣
- * فتنة النساء، وضرر الاختلاط..... ١٩
- * عبرة عظيمة من قصّة صحابيّة كريمة ٢٥
- * قصّة امرأة من أهل الجنة..... ٣٠
- * قرار المرأة وقارها ٣٧
- * تأملات في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ ٤٥
- * نصيحة و تهئية..... ٥٢
- * نعمة اللباس، والفتنة فيه ٥٨
- * زينة الإيـان ٦٧
- * فهرس المواضيع..... ٧٥



رسالة النبي ﷺ للمرأة المسلمة

الرسالة الثالثة :

صفات الزوجة الصالحة

تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ،
وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا
مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ مَوْضُوعَ هَذِهِ الرَّسَالَةِ الَّتِي هِيَ بِعَنْوَانِ: «صفات الزوجة
الصَّالِحَةِ» لَيْسَ الْكَلَامُ وَالْخُطَابُ فِيهَا مَخْتَصًّا بِالشَّابَّةِ الْمُقْبِلَةِ عَلَى
الزَّوْاجِ، الرَّاعِبَةِ فِي مَعْرِفَةِ صِفَاتِ الزَّوْجَةِ، لِتَحْلِيَ بِهَا، وَلْتَهَيِّئَ
نَفْسَهَا لِتَحْقِيقِهَا وَتَتَمِيمِهَا وَتَكْمِيلِهَا.

وَلَيْسَ -أَيْضًا- مَخْتَصًّا بِالْمَرْأَةِ الْمُتَزَوِّجَةِ الَّتِي أَحَبَّتْ لِنَفْسِهَا
صِفَاتِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ، لِتَحَافِظَ عَلَيْهَا، وَلِتَحَقِّقَهَا فِي حَيَاتِهَا.
كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مَخْتَصًّا بِالْمَرْأَةِ الْمُقْصِّرَةِ، لِعَلَّاجِ مَا عِنْدَهَا مِنْ
تَقْصِيرٍ، وَتَذْكِيرِهَا بِجَوَانِبِ النَّقْصِ، لِتَتَذَكَّرَ أَمْرَهَا وَحَيَاتِهَا
الزَّوْجِيَّةَ الْكَرِيمَةَ.

بَلْ إِنَّهُ خُطَابٌ وَتَذْكَرَةٌ أَعْمٌ مِنْ هَذَا كُلِّهِ؛ فَهُوَ تَذْكَرَةٌ لِلْأَب

الَّذِي يُرِيدُ لِبَنَاتِهِ وَمَنْ تَحْتَ يَدِهِ؛ نَشَأَةً طَيِّبَةً، وَحَيَاةً كَرِيمَةً، وَدُخُولًا
لِلْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ عَلَى وَفْقِ مُرَادِ اللَّهِ وَمُرَادِ رَسُولِهِ ﷺ، لَتَكُونَ عَوْنًا
لَهُ، لِيَذْكُرَهُنَّ بِالضُّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ وَالصِّفَاتِ الْمَرْغَبَةِ الَّتِي يَنْبَغِي
لِلْفَتَاةِ أَنْ تَنْشَأَ عَلَيْهَا.

وَتَذَكِيرٌ لِلأُمِّ، وَهِيَ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِهَا، وَمَسْئُولَةٌ عَنْ بَنَاتِهَا،
وَمَوْجَّهَةٌ لَهُنَّ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَنَاتِ يَنْشَأْنَ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ
وَالصِّفَاتِ اكْتَسَبْنَهَا مِنَ الْأُمِّ.

وَهُوَ تَذَكِيرٌ أَيْضًا لِلدَّعَاةِ؛ لِلْعَنَايَةِ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَالْإِهْتِمَامِ بِهِ،
وَالسَّعْيِ فِي نَشْرِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ
وَالْخِلَالِ الْمُبَارَكَةِ، لَتَكُونَ صِفَاتٌ مُلَازِمَةٌ لِلْبَنَاتِ وَالنِّسَاءِ فِي
مَجْتَمَعِ الْإِيمَانِ وَفِي دِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ.

لَا سِيَّامًا وَنَحْنُ نَعِيشُ زَمَنًا غُزِيَتْ فِيهِ الْمَرْأَةُ غَزْوًا لَمْ يَحْصُلْ
لَهَا فِي أَيِّ فِتْرَةٍ مِنْ فِتْرَاتِ التَّارِيخِ السَّابِقَةِ، عِبْرٌ مَجَالَاتٍ عَدِيدَةٌ،
وَقَنَوَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَوَسَائِلُ مُتَعَدِّدَةٌ، تَهْدَفُ لِلْإِطَاحَةِ بِعَقَّةِ الْمَرْأَةِ،
وَشَرْفِهَا، وَكَمَالِهَا، وَحِلْيَتِهَا، وَزِينَتِهَا، وَإِيمَانِهَا، وَأَخْلَاقِهَا،
وَفَضِيلَتِهَا.

وَلَقَدْ كَانَتْ الْمَرْأَةُ سَابِقًا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا الدَّعَوَاتُ
الْمُفْسِدَةُ وَالْأَهْوَاءُ الْمُغْرِضَةُ وَالْآرَاءُ الْمُنْحَلَّةُ إِلَّا مِنْ خِلَالِ قَنَوَاتٍ

ضيقّة، إمّا أن تكون لها رفيقة سوء أو نحو ذلك، فتصل إليها بعض الخلال السيّئة.

أمّا اليوم؛ فتصل إلى المرأة قاذورات العالم كلّها، وأراذل العالم كلّها، وفساد العالم كلّها، وهي في قعر دارها دون أن تخرج من بيتها.

فَتَجْلِسُ الْمَرْأَةُ فِي حُجْرَتِهَا أَمَامَ الشَّاشَةِ، أَوْ مِنْ خِلَالِ شَبَكَةِ الْأَنْتَرْنِتِ، أَوْ مِنْ خِلَالِ بَعْضِ الْمَجَلَّاتِ الْهَابِطَةِ، فَيَتَسَلَّلُ إِلَى عَقْلِهَا وَفِكْرِهَا وَقَلْبِهَا كُلُّ شَرٍّ وَفَسَادٍ.

فَهِىَ تَحْتَاجُ لَتَكُونَ صَالِحَةً عَفِيفَةً دَيِّئَةً قَانِتَةً لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ تُسَدَّ عَنْ نَفْسِهَا مَنَافَذَ الشُّوْءِ، وَطَرَائِقَ الشَّرِّ، وَدَوَاحِلَ الْفَسَادِ.

وَهِيَ مَسْئُولِيَّةٌ كَبِيرَةٌ - أَيْضًا - عَلَى مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَهَا، وَهُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَحْتَاجُ إِلَى اهْتِمَامٍ بَالِغٍ وَعَنَائَةٍ فَائِقَةٍ.

أقول: فِي ظِلِّ هَذِهِ الْحَالِ، وَمَعَ قَلَّةِ التَّذْكِيرِ وَنُدْرَةِ الْمُذَكَّرِ بِصِفَاتِ الْإِيمَانِ وَالصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ وَالنَّعْوَتِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَحَلَّى بِهَا الْمَرْأَةُ؛ ظَهَرَ فِي كَثِيرٍ مِنَ النِّسَاءِ ضَعْفٌ وَوَهْنٌ، وَفَشَا فِيهِنَّ قَلَّةُ الْحَيَاءِ وَالذِّينِ، وَظَهَرَ بَيْنَهُنَّ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ التَّقْصِيرِ، وَطَرَائِقُ شَتَّى مِنَ الْإِخْلَالِ.

وَبَعْدُ؛ فَهَذِهِ كَلِمَاتٌ عَنْ صِفَاتِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ، أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَكْتُبَ فِيهَا خَيْرًا وَنَفْعًا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا مِفْتَاحَ خَيْرٍ مَغْلَقٍ شَرٍّ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِيهَا هِدَايَةً لِلْقُلُوبِ، وَصَلَاحًا لِلنَّفُوسِ، وَصَلَةً بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، لَتَحْقِيقِ رِضَاهِ، وَنَيْلِ مَحَابِّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وَالْبُعْدَ عَمَّا يُسْخِطُهُ وَيَغْضِبُهُ - جَلَّ وَعَلَا -؛ فَأَقُولُ - وَبِاللَّهِ أَسْتَعِينُ -:

عِنْدَمَا نَتَحَدَّثُ عَنْ صِفَاتِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ وَعَنْ الصَّلَاحِ، يَنْبَغِي أَلَّا تَغِيبَ عَنَّا قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي هَذَا الْبَابِ، هِيَ أَسُّ الْمَوْضُوعِ وَأَسَاسُ لِحَصِيلِ الصَّلَاحِ وَاكْتِسَابِهِ وَنَيْلِهِ؛ أَلَا وَهِيَ:

أَنَّ الصَّلَاحَ لَا يُنَالُ إِلَّا بِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: تَوْفِيقُ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَهِدَايَتُهُ وَعَوْنُهُ وَتَيْسِيرُهُ وَتَسْدِيدُهُ؛ فَالْهَادِي هُوَ اللَّهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمَوْفَّقُ، وَالْأُمُورُ بِيَدِهِ - جَلَّ وَعَلَا -، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجْدَلَهِ وَلِيَآ مَرْشِدًا﴾ [الزُّمَرُ: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٥]، فَالْهِدَايَةُ بِيَدِهِ، وَالصَّلَاحُ بِيَدِهِ، وَالتَّوْفِيقُ بِيَدِهِ، وَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَالْأَمْرُ الْآخَرُ: سَعْيُ الْإِنْسَانِ وَبَذْلُهُ جُهِدَهُ وَوُسْعُهُ فِي نَيْلِ

الصَّلاح، وطلبه وسلوكِ أسبابه ووسائله.

وقد جمع النَّبِيُّ ﷺ بين هذين الأمرين في قوله - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - في الحديث الصحيح: «إِخْرُضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١).

«إِخْرُضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ» ببذل الأسباب النَّافعةِ وَالْوَسَائِلِ الْمُفيدةِ التي يُنال بها الصَّلاح وَتَتَحَقَّقُ مِنْ خِلَالِهَا الهداية.

«وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» أي: كن مُعْتَمِداً عَلَيْهِ، مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ، طَالِباً عَوْنَهُ، رَاجِئاً مِنْهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يَوْفَقَكَ وَأَنْ يُسَدِّدَكَ وَأَنْ يَثْبِتَكَ، وَأَنْ يَكُونَ عَوْنًا لَكَ عَلَى الصَّلاح والاستقامة، فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ كَبْرَى حَوَتْ جُمَاعَ الْخَيْرِ.

وَقَاعِدَةٌ أُخْرَى لَا بَدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهَا؛ أَلَا وَهِيَ:

أَنَّ مَنَبَعَ الصَّلاح وَأَصْلَ معرفته وسبيل الدَّرَايةِ به والهدايةِ إِلَيْهِ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ ﷺ؛ فَكَانَ وَاجِباً وَمُتَأَكِّداً عَلَى كُلِّ مُذَكِّرٍ بِالصَّلاح والإصلاح دَاعِياً إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُعَوِّلاً فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ.

أَمَّا الْقُرْآنُ؛ فَيَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الزُّمَرُ: ٩].

وأما السُّنَّةُ وهدْيُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ؛ فيقول ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي»^(١).

وعليه فموضوعنا هو: «صفات الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ فِي ضَوْءِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وكلُّ صِفَةٍ تَرَدُّ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ تَأْتِي مَقْرُونَةً بِدَلِيلِهَا، مَضْمُومَةٌ إِلَى مُسْتَنَدِهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وقاعدة ثالثة: وهي أساسٌ تبنى عليه جميع الطَّاعَاتِ، وتقام عليه جميع الفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ، أَلَا وَهِيَ تَحْقِيقُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا أَسُّ الْفَضَائِلِ وَمَنْبَعُ الْخَيْرَاتِ وَقَوَامُ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمَةِ أَنْ تَعِيَ أَنَّ لَزُومَهَا لِأَدَابِ الشَّرِيعَةِ وَتَحْلِيلِهَا بِالصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ قَرَبٌ مِنَ الْقَرَبِ الَّتِي يُنَالُ بِهَا رِضَى اللَّهِ وَيَحْضُلُ بِهَا أَجْرُهُ وَثَوَابُهُ، وَبِالتَّفْرِيطِ فِيهَا يَفُوتُهَا مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا فَرَطَتْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَسَيَأْتِي لِهَذَا مَزِيدُ تَقْرِيرٍ فِي مَوْضِعِهِ الْمُنَاسِبِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

* وَأَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ: مَا جَاءَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ فِي ذِكْرِ صِفَاتِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ:

قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ

(١) أخرجه الحاكم (١/١٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

يَمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴿النِّسَاءُ: ٣٤﴾، لقد أتى هذا الجزء من الآية على مجامع الأمور في هذا الباب، واستوعب بدلالته وجمعه كل صفة فاضلة ونعت كريم للمرأة الصالحة.

فدلنا هذا النص الكريم المبارك على أن الزوجة الصالحة هي من جمعت بين صفتين:

الصفة الأولى: تتعلق بصلتها برّبها.

والصفة الثانية: تتعلق بصلتها ببعْلِها - زوجها..

- أمّا صلتها برّبها، ففي قوله - سبحانه -: ﴿قَنِئْتُ﴾، والقنوت هو المداومة على طاعة الله، والمحافظة على عبادة الله، والالتزام بطاعة الله، والعناية بفرائض الإسلام وواجبات الدين، وعدم إهمالها وإضاعتها، فكل ذلك داخل تحت قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿قَنِئْتُ﴾.

- الجانب الآخر في قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ﴾ أي: حافظة لحق زوجها وبعْلِها في الغيب، وكذلك في الشهادة، تحفظه في ماله، تحفظه في فراشه، تحفظه في حقوقه، تحفظه في واجباته، ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ﴾.

ثم إن هذا الذي وقع منها من حفظ هو بتوفيق الله - سبحانه وتعالى - وتيسيره وعونه وتسديده؛ ولهذا قال: ﴿حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ﴾

يَمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴿١﴾ أَي: أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ بِجِدَارَتِهَا وَلَا بِحَذَقِهَا وَلَا بِفُطْنِهَا وَلَا بِكَيَاسَتِهَا، وَإِنَّمَا هُوَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَتَسْدِيدِهِ لَهَا وَتَيْسِيرِهِ.

وهذا يذكرنا بما أشرت إليه قبل قليل أَنَّ الصَّلاحَ وَالسَّدَادَ كُلَّهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَتَيْسِيرِهِ وَعُونِهِ وَتَسْهِيلِهِ.

يدخل في قوله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿قَنِئْتُ﴾ حفظ المرأة لفرائض الإسلام وواجبات الدين.

وقد جاء في هذا المعنى أحاديث عن النَّبِيِّ ﷺ، منها: ما رواه ابن حَبَّانَ في «صحيحه»^(١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ».

وروى الإمام أحمد في «مسنده»^(٢) من حديث عبد الرَّحْمَنِ ابن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: أُدْخِلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ».

فهنيئًا للمرأة المسلمة بهذا الموعد الكريم والفضل العميم

(١) برقم (٤١٦٣)، وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩٣١).

(٢) برقم (١٦٦١).

والخير الذي وعدها الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - به، أعمال أربعةٌ تعدّها المرأة على أصابع اليد الواحدة، وليس على أصابع اليدين، أعمال أربعةٌ إذا حافظت عليها يُقال لها يوم القيامة: «أَدْخِلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِهَا شِئْتَ».

أليس حقيقاً بالمرأة النّاصحة لنفسها أن تعنى بهذه الأوصاف، وأن تهتمّ بهذه الخلال، وأن تواظب على أداء هذه الأعمال؟: حفظها لصلّاتها، وحفظها لصيامها، وحفظها لفرجها، وحفظها لحقوق زوجها، لتنال هذا الوعد المبارك والخير العميم، فيُقال لها يوم القيامة: «أَدْخِلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِهَا شِئْتَ».

إنّ أساس الصّلاح في المرأة صلاحها مع ربّها، بحُسن طاعته، وحُسن التّقرب إليه، والمواظبة على عبادته، فإنّ هذا الصّلاح وتلك الاستقامة هي سرّ سعادتها، وسرّ فلاحها، وسرّ توفيقها في حياتها كلّها بما في ذلك حياتها الزوجيّة، وصلاح أولادها، وذريّتها، وعيشها العيش المبارك الهنيء.

ولهذا كان متأكّداً على من أرادت لنفسها الخير، ومتأكّداً على أولياء الأمور الذين يحبّون لبناتهم الخير أن ينشّئوهنّ على الصّلاح والاستقامة والمحافظة على العبادة، والعناية بفرائض الإسلام، ولاسيّما: الصّلوات الخمس، وصيام شهر رمضان،

والبُعد عن كلِّ ما يؤثّر في عِفّة المرأة وشرّفها، وهو ما جاء بيانه في هذا الحديث بقوله: «وَحَفِظْتُ فَرْجَهَا».

وحِفظ المرأة لفرجها أمرٌ يتطلّب منها ومن وليِّ أمرها سدّ المنافذ والوسائل التي يكون بها الفساد، ويحصل من خلالها الشرّ، وتتداعى من جهتها الآثام والعياذُ بالله.

فهذا مطلبٌ عظيم ينبغي على من أرادت لنفسها الخير أن تنشئ نفسها عليه؛ تحافظ على طاعة الله، وعبادة الله، والتّقرب إليه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بما يُرضيه من سديد الأقوال وصالِح الأعمال، ثمّ إذا منّ الله عليها بالكفوِّ الكريم والزّوج المناسب عليها أن تتقي الله فيه من أوّل الزّواج وفي بدايته.

وهذا يستوجب أن ينبّه إلى مسألة أصبح الخطأ فيها شائعاً، والخلل فيها متكاثراً، ألا وهي: الإسراف والبذخ الذي يكون في ليلة الزّواج وفي نفقة الزّواج، وهذا أمرٌ خطره بالغٌ، وضرره عظيمٌ. وكثيرٌ من النّساء إذا أقبلت على الزّواج اتّجه اهتمامها للشّكليات، واتّجه اهتمامها لمشاكله بنات جنسها ونظيراتها، فلانة من النّاس فعلت، وفي الزّواج الفلاني فعلوا كذا، تتّجه بنظرها إلى تلك النّظرة فيأتي الإسراف، ويقع البذخ، ويكثر التبذير وإضاعة الأموال، إضافةً إلى ما قد يقع أيضاً من منكرات ومحرمات، فتكون هذه البداية والتّقدمة بين يدي الزّواج سبباً

لقصور البركة، وقلة الخير.

بخلاف ما إذا ابتعدت المرأة عن ذلك وابتعد أهلها عن ذلك، وجانبوا الإسراف، وجانبوا المعاصي والآثام، وكانت النفقة نفقة لا كلفة فيها ولا إسراف ولا تبذير، فهنا تتحقق الخيرية، وتحل البركة.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ وهو في «سنن أبي داود»^(١) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ». وفي حديث آخر: «أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَهً أَيْسَرُهُنَّ مَوْؤَنَةً»^(٢). فخير النساء أيسرهن.

ولهذا ينبغي على المرأة وعلى الأب وعلى الأم أن يكون نصب أعينهم في النكاح وفي مراسيم الزواج التيسير لا التعسير، والتواضع لا التعالى والترفع، والرفق والأناة وعدم الإسراف والبدخ، فهذا أمر له تأثيره في الحياة الزوجية كلها سلباً وإيجاباً. فإذا كان هناك يسر وتيسير وبُعد عن الإسراف كان ذلك من دواعي حلول البركة وتوالي الخيرات.

وإذا بُدئ بالإسراف والتبذير والمعاصي وأنواع الآثام، فهذا

(١) برقم (٢١١٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥١٢٠)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٧٤) من حديث عائشة

من أعظم أسباب انتزاع البركة، والعياذُ بالله.



* ثم من صفات الزوجة الصالحة: الحذر من الشيطان الرجيم، والشيطان مهمته في هذه الحياة الإفساد؛ إفساد الدين، وإفساد الخلق، وإفساد المعاملة، وإفساد العشرة، وإفساد الأخوة؛ وإفساد كل ما هو خير، وفي كل يوم يبعث بعوثا ويرسل جندا للقيام بهذه المهام.

وتأمل معي هذا الحديث وهو في «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ». أي: يرسل الجنود والبعوث للإفساد، «فَادْتَنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً». يعني: أقربهم إليه أعظمهم فتنَةً بين الناس، «يَجِيءُ أَحَدُهُمْ» يعني: أحد هؤلاء الجنود «فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، فَيُذْنِبُهُ مِنْهُ» أي: إبليس يُذْنِبُ هذا منه، «وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ»، قال الأعمش: أراه قال: «فَيَلْتَزِمُهُ» أي: يحتضنه ويقربه منه ويُذْنِبُهُ إِذَا فَرَّقَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا.

هنا تحتاج الزوجة الصالحة أن تتفقه في هذا الباب، وأن تعي هذه الحقيقة وكذلك زوجها، أن يعي كل واحدٍ منهما أن ثمة عدوًّا خفيًّا يراك ولا تراه، ويجري منك مجرى الدّم من العروق؛ ينث، ويؤسوس، ويكيد، ويمكر.. كل ذلك يمارسه وأنت لا تراه، يُلقى في قلبك وقلبها الوسوس، ويوقع الشكوك إلى أن تقع العداوات، وله منافذ عديدة.

ولهذا جاءت السُّنة بالتحصين منه عند دخول البيت، وعند المعاشرة، وعند الطّعام، وعند الغضب، في كلّ أمر من الأمور يحتاج الإنسان إلى التحصين من الشيطان؛ لئلا يشاركه الشيطان في أهله وبيته وولده، فيحتاج أن يحصّن نفسه بالأذكار المباركة، بالقرآن الكريم والدّعوات الماثورة، وبالمحافظة على طاعة الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وعبادته.

إذا من صفات الزوجة الصالحة الحذر من كيد الشيطان ونزغاته ووساوسه، وما يُلقى في النفوس ممّا يترتب على الإصغاء له وسماعه فساد العشرة وتهدم بيت الزوجية.

وكم من الأسر والبيوت حصل الفراق الذي لم يكن بعده رجعة بطاعة الشيطان واتباع وساوسه، ولو أنّ كل واحدٍ منهما تعوّد بالله من الشيطان الرجيم وابتعد عن نزغاته ووساوسه كما وقعت تلك الأمور ولم يحصل ذلك التفرّق!.

كم من البيوت حصل فيها تفرُّق بسبب طاعة الشَّيْطان، ثمَّ يذهب هذا المفسد من الشَّيَاطِين إلى إبليس، لتدنو منزلته منه وتقرَّب مكانته عنده بما أحدثه من فرقة بين الزوجين!.

وهنا ينبغي أن نلاحظ ملاحظة مفيدة: أنَّ هذا العدوَّ الخفيَّ الَّذي يراك ولا تراه صاحب خبرة واسعة وصاحب تجارب عديدة.

الآن عندما يتحدَّثون عن بعض الخبرات لدى بعض الشَّرَكَات، فإنَّ أطولَّ خبرة قد تصل إلى الخمسين أو الستين سنة؛ لكنَّ خبرة إبليس في الإغواء والصَّدِّ وحرف النَّاس وإيقاع العداوات؟ خبرة آلاف السَّنوات، كم من النَّاس دخلوا الحُفَر ودُفِنوا وكانوا من أسارى دعوة الشَّيْطان الرَّجيم، ومن آثار إفساده وإغوائه؛ ولهذا يحتاج البيت المسلم إلى أن يحصِّن نفسه، وأن يصونها، وأن يُبعدَها من الشَّيْطان الرَّجيم.



* ومن صفات الزَّوجة الصَّالحة: إدخال السُّرور على زوجها إذا نظر إليها؛ في هيئتها، وفي منظرها، وفي شكلها، وفي لباسها، وأن تكون معوَّدةً لنفسها على طاعته والاستجابة لأوامره بدون استنكاف أو استكبار أو تعالٍ، وليتأمل في ذلك حديث النَّبيِّ ﷺ وهو في «سنن النَّسائي»^(١) من حديث أبي هريرة ؓ قيل لرسول

(١) برقم (٣٢٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (١٨٣٨).

الله ﷻ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسْرُهُ إِذَا نَظَرَ، وَتَطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تَخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ». فهذه صفتها من حيث المنظر والهيئة والشكل، تعتني عنايةً فائقةً بهيئتها ومنظرها أمامه وكلما حضر، وأيضا أوامره ورغباته وحاجاته تكون محلًّا للاهتمام والعناية.

ومن الأمور المؤسفة: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ لَا تَعْرِفُ الزِّينَةَ وَالتَّجَمُّلَ إِلَّا إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْبَيْتِ وَتَغَادِرَهُ لِحُضُورِ مَنْاسِبَةٍ مَا أَوْ اجْتِمَاعِ مَا أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَقِّ الزَّوْجِ إِذَا دَخَلَ؛ فَتَلْقَاهُ بِثِيَابٍ رَثَةٍ، وَبِرَأْيَةٍ غَيْرِ طَيِّبَةٍ، وَبشعرٍ شعثٍ، وَبصفاتٍ تصدده عنها وتقطع من رغبته فيها، ثُمَّ يُفَاجَأُ أَنَّهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْبَيْتِ تَخْرُجُ بِزِينَةٍ لَا يَحْظَى وَلَا بُعْثِرُهَا؛ فَأَيُّ رَغْبَةٍ تَمَلَأُ قَلْبَ هَذَا الزَّوْجِ تَجَاهَ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهَا؟! وَأَيُّ حُبٍّ يَكْتَنِفُ جَوَانِحَهُ إِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهَا مَعَهُ؟

وهذا من دلائل حُمو المرأة وقلة عقلها في تحقيق كمال الحياة الزوجية، وتحقيق سموها ورفعيتها.

إضافةً إلى ما تكون عليه كثيرٌ من النساء من عدم الطواعية والاستجابة، وكثرة التبرُّم والتسخط والتشكي بما تواجه به الزَّوْجُ وبما تواجه به غيره؛ فتجلب لبيتها حياةً تعيسةً، وحياةً نكديةً، وحياةً متفككةً، وتكون هي الجانية على نفسها.

يقول ﷺ كما في «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر رضي الله عنه: «إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ لَيْلًا فَلَا يَأْتِيَنَّ أَهْلَهُ طُرُوقًا» يعني لا يفاجئهم في الليل؛ لماذا؟ قال: «حَتَّى تَسْتَحِدَّ الْمَغِيبَةَ وَتَمْسُحَ الشَّعِثَةَ». وهذا فيه لفظة كريمة للمرأة، وهو أنه ينبغي أن تلقى زوجها بكمال نظافتها وحسن هيئتها وجمال استعدادها، ولا سيما إذا كان قدِم من غيبة أو من سفر، فهذا أمرٌ يتطلب منها استعدادًا وتهيؤًا حتى في ترتيب البيت وتهيئته، كما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرٍ وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ لِي عَلَى سَهْوَةٍ لِي فِيهَا تَمَائِيلٌ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَتَكَهُ، وَقَالَ: «أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ»؛ قَالَتْ: فَجَعَلْنَاهُ وَسَادَةً أَوْ وَسَادَتَيْنِ»^(٢). لماذا وضعت هذا القِرَام - أي: السَّتار -؟ لأنها أرادت إذا دخل ﷺ إلى البيت يجد فيه شيئًا من التحسين أو التهيئة في البيت نفسه وفي المرأة نفسها.

فنستفيد من هذا الحديث فائدة، وهي أن المرأة ينبغي أن تهيئ البيت وترتبه، وأن تحسن إعدادَه وتهيئته، كما ينبغي لها إعدادَ نفسها الإعداد التام الكامل، وتحسن استقبال زوجها، فهذه كلها من الصفات التي جاءت في سنة النبي ﷺ للمرأة والزوجة الصالحة.

(١) برقم (٧١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

ومن ذلك أيضا: ما جاء في «المعجم الأوسط»^(١) للطبراني من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ فِي الْجَنَّةِ؟» يعني: الزوجة التي صارت أهلاً ومهيأة لأن تكون من أهل الجنة بصفاتها الحميدة وخلالها المباركة، قال: «كَلِّ وَدُودٍ وَلَوْدٍ، إِذَا غَضِبْتُ أَوْ أَسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا، قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ لَا أَكْتَحِلُ بِغَمْضٍ حَتَّى تَرْضَى». يعني: لا أغمض عيني ولا أهنأ بنوم ولا تقر لي عين حتى ترضى عني. ومن المؤسف أن بعض النساء لا تبالي أن ينام زوجها الليلة والثنتين والثلاث والعشر والشهر وهو مغضب، وكأن الأمر لا يعينها! ولا كأنها ستلقى الله - سبحانه وتعالى - ويحاسبها على هذه الأمور وعلى هذه الأعمال.



* ومن صفات المرأة الصالحة: ما جاء في «سنن البيهقي»^(٢) عن أبي أذينة الصّدفي أن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْمُوَاتِيَةِ الْمُوَاسِيَةِ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ، وَشَرَّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتِ الْمُتَخَيَّلَاتِ، وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مَثَلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ».

(١) برقم (١٧٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٨٠).

(٢) (٨٢/٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٤٩).

فانظر إلى هذه الصفات للزوجة الصالحة:

- «الودود» وهذه صفة كريمة وخلّة حميدة في المرأة الصالحة والزوجة المباركة، «الودود» أي: المتّصفة بالودّ وحُسن التودّد، وأحقّ النَّاس بذلك الزوج، أن تحسّن التودّد إليه وأن تكسب مشاعره وعاطفته بكلماتها اللطيفة وألفاظها العذبة، وحسن تودّدها له في معاملتها له، وفي مظهرها وهيئتها. فالتودّد يكون بالكلام، ويكون بالهيئة، ويكون بالمظهر، ويكون بالعمل، ويكون بالخلق.

- «اللود» أي: كثيرة الإنجاب، وهي صفة حميدة في المرأة، وهي من خير النساء، وإذا كانت المرأة مبتلاة بعلّة أو مرض فهذا أمر لا يضرّها؛ لأنّه ليس أمراً قصّرت فيه أو سعت هي في الإخلال به؛ فلا يحاسبها الله على ذلك ولا يضرّها ذلك، ولا يتنافى ذلك مع صلاحها.

أمّا إن كانت هي ولوداً، ولكنها تمنع الأولاد، وتقطع الإنجاب، وتسعى في قطعه؛ فهذا فيه ضررٌ عليها، وقد قال ﷺ: «تَرْوُجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). فالذي ينبغي على المرأة أن تسعى في وجود الأولاد، وتبذل

(١) أخرجه أحمد (١٢٦١٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٧٨٤).

السَّبَبَ في ذلك، وتسعى في تربيتهم وتنشئتهم ورعايتهم، وتحسب لتكون سبباً في أن يوجد في المجتمع أبناء صالحون ودعاةً مصلحون، وتحسب ذلك من أول دخولها في الزواج، تقول بينها وبين الله: لعل الله يكرمني بأبناءً من أئمة الهدى، أو من علماء المسلمين، أو من دعاة الخير، فيكتب لها الأجر العظيم على هذه النية الصالحة، وما يتبعها من العناية والرعاية.

- و«المَوَاتِيَّة» أي: التي ليست فظة ولا غليظة، بل هي مواتية تسمع وتطيع وتستجيب ولا تستكف ولا تستكبر ولا تستعلي على الزوج، ولا يكون منها نشوز أو تعالٍ.

- و«المَوَاسِيَّة» أي: التي تواسي زوجها، وتقف إلى جنبه، وتكون عوناً له على الخير وعلى طاعة الله، وعلى ما فيه السعادة والفلاح.

- «إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهَ» أي: أن هذه الصفات إنما تكون نافعة للمرأة إذا اتقت الله - جلّ وعلا -، فلو كانت ودوداً ولوداً مواتيةً مواسيةً وهي تطلب بذلك أمر الدنيا ليست متقيةً لله لم تفدها هذه الصفات ولم تنفعها، وإنما تكون هذه الصفات نافعةً لها إذا اتصفت بها طلباً لرضى الله - جلّ وعلا - وسعيًا في تحقيق تقواه.

قال: «وَشَرَّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ» أي: التي تبرج بزيتها، وتخرج بحليتها، فتخرج متأنقةً متجملةً متعطرةً متحليةً متزيّنةً

لتكون شرفاً للشيطان وغرضاً له في إفساد المجتمع.
فالمرأة المتبرجة التي تخرج بهذه الصفة خرجت في الحقيقة
لتكون أحد جنود إبليس وعوناً له على الإفساد، وهدفاً له في إيقاع
الفِتنة وإثارة الفاحشة في الذين آمنوا.

قال: «المُتَخَيَّلَات» وهذا من الخيلاء، وهو الكِبَر، وهناك
تلازمٌ بين التَّبَرُّج والخيلاء، فالمرأة إذا تبرّجت وتزيّنت وتعطّرت
وتجمّلت لن تخرج إلى الشارع وإلى السوق بصفة متطامنة
متواضعة لله تعالى؛ بل تخرج مختالة متعالية مترفعة، فيها الكِبَر
وفيهما العُجب بنفسها وبهيئتها ومنظرها؟! فهناك تلازمٌ بين الخيلاء
والتَّبَرُّج، كما أنه ثَمَّة تلازمٌ بين الحِشمة والحياء.

فالمرأة المحتشمة مُفَعِّمَةٌ بالحياء، وقلبها ممتلئٌ منه، بينما
المرأة المتبرجة؛ طرحت جلابَ الحياء، ولبست بدله جلابَ
الكِبَر والعُجب والغُرور والخيلاء، ممّا يجني عليها، ويضرّ
بحياتها الزوجية، بل بحياتها كلّها.

ولهذا وَصَفَ من كانت كذلك بأنها شرّ النساء، قال: «وَشَرُّ
نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيَّلَاتُ، وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ
مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ». «الْغُرَابُ الْأَعْصَمُ» أي: الذي في
جناحيه وفي قدميه شيءٌ من البياض، ومتى تشاهد الغراب
الأعصم بين الغربان السُّحُم السُّود؟ من أندر النّادر أن تجد

الغرابَ الأعصم؛ فالغالبُ أن ترى الغِربانَ كلّها سوداً سوداً متكاملًا في كلّ أجزائها، فقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة منهنّ إلا مثل الغرابِ الأعصم». فيه كنايةٌ عن قلة من يدخل الجنة من هؤلاء النساء؛ لأنّ هذا الوصفَ في الغِربان قليل نادرٌ.

ومثل هذا الحديث قوله ﷺ: «يا معشرَ النساءِ! تصدّقن وأكثرنَ الاستِغفارَ، فإنّي رأيْتُكن أكثرَ أهلِ النارِ»^(١). لماذا رأى النساء أكثرَ أهلِ النار؟ عندما تنظرُ في الصّفات التي جاءَ في السّنة عدّها في صفات الأشرار أهلِ النار، تجد أنّ كثيرًا من النساء لا تبالي ولا تهتمُّ بذلك، حتّى كأنّها ليس لها يومٌ ستلقى الله فيه ويحاسبُها على ذلك، وقد يبلغها الحديث والعلم ولكنّها همّها شهوتها ورغباتها.

أحاديثٌ كثيرةٌ جاءت عن النّبي ﷺ في ذكر أوصافٍ مذمومة للمرأة إذا اتّصفت بها؛ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: «لعنَ النّبي ﷺ الواصلةَ والمستوصلةَ، والواشمةَ والمستوشمةَ»^(٢). وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «لعنَ رسولُ الله ﷺ المُتَشَبِّهينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»^(٣)، و«لعنَ النّبي ﷺ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٤، ١٤٦٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٤٧)، ومسلم (٢١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

المُتَرَجِّلاتِ مِنَ النِّسَاءِ»^(١).

فبالرَّغم من ورود هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث التي فيها لعن للنساء في أوصافٍ معيّنة، تجد في كثير من النساء مَنْ تَسْمَعُ اللَّعْنَ وَالطَّرْدَ وَالْإِبْعَادَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا تَبَالِي؛ وَلَا كَأَنَّهَا سَتَقِفُ أَمَامَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَيَسْأَلُهَا، وَلَا كَأَنَّهَا يَوْمًا مِنَ الْيَّامِ سَتَدْرَجُ فِي حُفْرَةٍ وَيُوَارَى عَلَيْهَا التُّرَابُ وَتَقْدُمُ عَلَى أُمُورٍ هَائِلَةٍ، حَيْثُ تَكُونُ الْأَلْوَانُ حَائِلَةً، وَالْأَعْنَاقُ عَنِ الْأَبْدَانِ زَائِلَةً، وَالْعَيُونَ عَلَى الْخُدُودِ سَائِلَةً، كُلُّ هَذَا تَذْهَلُ عَنْهُ وَيَغِيبُ عَنْ ذَهْنِهَا، وَلَا يَكُونُ هَمُّهَا إِلَّا أَنْ تَتَجَمَّلَ وَتَتَزَيَّنَ، وَلَوْ كَانَتْ الْأَعْمَالُ الَّتِي تَمَارِسُهَا مَعْصِيَةً لِلَّهِ وَمُخَالَفَةً لِأَمْرِهِ، وَمِنْ مَوْجِبَاتِ غَضَبِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَسَخَطِهِ.

إِذَا هُنَاكَ أَوْصَافٌ وَمَذَامٌ جَاءَ بَيَانُهَا فِي السُّنَّةِ لِلنِّسَاءِ لَتَكُونُ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ، وَمَعْرِفَةُ الْمَرْأَةِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هِيَ مَعْرِفَةٌ يَقْصِدُ مِنْهَا الْحَذَرُ وَالْاجْتِنَابُ، عَلَى حَدِّ قَوْلِ مَنْ قَالَ:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوْقِيهِ
وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ مِنَ النَّاسِ يَقَعُ فِيهِ



(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

* ومن صفات الزوجة الصالحة: عدم التّقصير في حقوق الزوج، وبذل الوسع والجهد في خدمته؛ وليتأمل في هذا ما رواه النسائي في «السّنن الكبرى»^(١) عن حُصَيْن بن مُحْصَن عن عَمَّةٍ له: أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهَا، قَالَ: «أَذَاتَ زَوْجٍ أَنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ؛ قَالَ: «فَكَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟» قَالَتْ: مَا آلَوْهُ إِلَّا مَا أَعْجَزُ عَنْهُ؛ قَالَ: «انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ! فَإِنَّهُ جَنَّتِكَ وَنَارُكَ».

متى يكون الزوج لزوجته جنّةً ومتى يكون ناراً؟ هنا يجب على المرأة أن تعي هذه الحقيقة، أن تعي هذا الأمر الكبير، «أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ؟». عليك واجباتٌ، وأنتِ عبدٌ لله، وثمّة جنّة ونار، والله ﷻ أمرك وأوجب عليك هذه الحقوق تجاه الزوج، فقومي بها، وأديها على التّمام والكمال، طاعةً لله، وطلباً لرضاه سبحانه، أدي الذي عليك، واسألي الله الذي لك «فإِنَّهُ جَنَّتِكَ وَنَارُكَ».



* ومن صفات الزوجة الصالحة: عدم إرهاق الزوج بالنّفقة، وألا تكون أداةً في البيت للبذخ والإسراف وإضاعة مال الزوج، بل تعتدل؛ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا

[الزّوجان : ٦٧]

(١) برقم (٨٩١٣)، وأخرجه أحمد (١٩٠٠٣)، وصححه الألباني في «الصّحيحة» (٢٦١٢).

ولتأمل في هذا الباب ما جاء عن أبي سعيد أو جابر ^(١) أن نبي الله ﷺ خطب خطبة فأطالها، وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، فذكر أن «أَوَّلَ مَا هَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّ امْرَأَةً الْفَقِيرِ كَانَتْ تَكْلِفُهُ مِنَ الثِّيَابِ أَوْ الصَّيْغِ - أَوْ قَالَ: مِنَ الصَّيْغَةِ - مَا تَكْلِفُ امْرَأَةُ الْغَنِيِّ، فذكر امرأة من بني إسرائيل كَانَتْ قَصِيرَةً وَاتَّخَذَتْ رَجُلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ وَخَاتَمًا لَهُ غَلَقٌ وَطَبَقٌ وَحَشَنَةٌ مُسَكَّا، وَخَرَجَتْ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ أَوْ جَسِيمَتَيْنِ، فَبَعَثُوا إِنْسَانًا يَتَّبِعُهُنَّ، فَعَرَفَ الطَّوِيلَتَيْنِ وَلَمْ يَعْرِفْ صَاحِبَةَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ».

فأول ما كان هلاك بني إسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلف زوجها من الصَّيْغَةِ والحليِّ والزينة مثل ما تكلف امرأة الغني زوجها؛ ثم انظر إلى صنيع هذه المرأة القصيرة وما فيه من الإسرافِ والبذخ وإضاعة المال والتدليس، وعدم القناعة بما كتَبَ الله - سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - لها.

وما أشبه ذواتِ الكعبِ العاليي بها، وقد جاء في فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء ما نصّه:

«لبسُ الكعبِ العاليي لا يجوز؛ لأنّه يعرضُ المرأةَ للسُّقوط، والإنسانَ مأمورٌ شرعاً بتجنّب الأخطار بمثل عموم قول الله: ﴿وَلَا

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٤٨٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٩١)، وأخرج مسلم (٢٢٥٢) عن أبي سعيد وحده قصة المرأة القصيرة فقط.

تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴿[النساء: ١٩٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، كما إنَّه يُظْهَرُ قامة المرأة وعجيزتها أكثر ممَّا هي عليه، وفي هذا تدليسٌ، وإبداءٌ لِبعض الزينة التي نُهيَتْ عن إبدائها.



* ومن صفات الزوجة الصالحة: عدمُ كفران المُنعِمين، أي: لا تكفر ما يسّر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لها من نعمةٍ عن طريق زوجها، وفي الحديث: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(١).

وممَّا جاء في هذا الباب: ما رواه البخاريّ في «الأدب المفرد»^(٢) من حديث أسماء ابنة يزيد الأنصاريّة قالت: مرّ بي النَّبِيُّ ﷺ وأنا في جِوارِ أترابٍ لي، فسَلَّم علينا، وقال: «إِيَّاكِنَّ وَكَفَرِ الْمُنْعِمِينَ» فقلت: يا رسول الله! وما كَفَرِ الْمُنْعِمِينَ؟ قال: «لَعَلَّ إِحْدَاكِنَّ تَطُولُ أَيْمَتَهَا مِنْ أَبْوَيْهَا، ثُمَّ يَرْزُقُهَا اللَّهُ زَوْجًا، وَيَرْزُقُهَا مِنْهُ وَلَدًا، فَتَغْضَبُ الْغَضْبَةَ؛ فَتَكْفُرُ، فَتَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطًّا».

قوله: «تَطُولُ أَيْمَتَهَا مِنْ أَبْوَيْهَا». يعني: يتأخّر زواجها.

وجاء في «السُّنن الكبري» للنسائي^(٣) عن عبد الله بن عمرو

(١) أخرجه أحمد (٧٩٣٩)، وأبو داود (٤٨١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤١٦).

(٢) برقم (١٠٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٢٣).

(٣) برقم (٩١٣٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٩).

قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لَزَوْجِهَا، وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ».



* ومن صفات الزوجة الصالحة: احترام الزوج، ومعرفة قدره وحقه، وجاء في هذا أحاديث، منها: ما رواه الطبراني في «المعجم الكبير»^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لَا أَمُرُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، وَلَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لَزَوْجِهَا».

وجاء أيضًا في «المعجم الكبير» للطبراني^(٢) عن زيد ابن أرقم أن معاذًا قال: يا رسول الله! أَرَأَيْتَ أَهْلَ الْكِتَابِ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبِطَارِقَتِهِمْ، أَفَلَا نَسْجُدُ لَكَ؟ قال: «لَوْ كُنْتُ أَمَرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لَزَوْجِهَا، وَلَا تَوَدِّي الْمَرْأَةَ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا عَلَى قَتَبٍ لَأَعْطَتْهُ».

ويتضاعف حق الزوج إن كان رجلاً من أهل الصلاح والتقوى والديانة والمحافظة على عبادة الله والرعاية لطاعته؛ روى الترمذي وابن ماجه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

(١) (١١/٣٥٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤٩٠).

(٢) (٥/٢٠٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٦٦).

«لَا تُؤْذِي إِمْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ الْحُورِ الْعَيْنِ: لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللَّهُ! فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا»^(١). قال أهل العلم: في الحديث إنذارٌ شديدٌ للنساء المؤذيات لأزواجهن.



* ومن صفات الزوجة الصالحة: إذا منَّ الله ﷻ عليها وأكرمها بالأولاد أن تعدل بينهم، كما قال ﷻ: «إِعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ، إِعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ». والحديث في «سنن أبي داود»^(٢)، وقد جاء في هذا المعنى أحاديث عديدة.

* ومن صفات المرأة الصالحة: أن تقرّ في بيتها، وألا تكون خَرَّاجَةً وَلَا جَةً، وإذا خرجت لا تخرج إلا لحاجةٍ، ولا تكون متبرجةً سافرةً، وأيضًا تكون غاضبةً لبصرها، حافظةً لفرجها، وقد مرَّ معنا في هذا بعض النصوص، وممَّا ورد في هذا: ما رواه الطبراني في «الأوسط»^(٣) عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن

(١) أخرجه الترمذي (١١٧٤)، وابن ماجه (٢٠١٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣).

(٢) برقم (٣٥٤٤) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٤٠).

(٣) برقم (٢٨٩٠ و ٨٠٩٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٨٨).

رسول الله ﷺ قال: «المرأة عورة، وإنها إذا خرجت استشرفها الشيطان» - أي: جعلها غرضاً له - «وإنها لا تكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها».



* ومن صفات الزوجة الصالحة: عدم إفشاء سر الزوج والأمور الخاصة بين الزوجين حتى لو وقع بينهما فرقة ولم يتحقق وئام، فكل منهما عليه أن يتقي الله - جلّ وعلا - في هذا الأمر.

وفي هذا ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»^(١) عن أسماء بنت يزيد: أنها كانت عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعود عنده، فقال: «لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرم القوم»^(٢). فقلت: إي والله؛ يا رسول الله، إنهن ليقلن، وإنهن ليفعلن، قال: «لا تفعلوا؛ فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق، فغشيتها والناس ينظرون».

فقولها: «إنهن ليقلن، وإنهن ليفعلن»، بدأت بالنساء في ذكر هذا الأمر؛ لأنه يكثر في النساء ويقل جداً في الرجال، فالمرأة تتحدث مع رفيقاتها وزميلاتها وصاحباتها في مثل هذه الأمور الخاصة، وكثير

(١) برقم (٢٧٥٨٣)، وصححه لغيره الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٢٢)، وانظر الإرواء (٢٠١١).

(٢) أي: سكتوا.

منهنّ لا تبالي من أن تذكر لها أسرار زوجها وأموره الخاصّة.
 وقوله ﷺ: «فَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلُ الشَّيْطَانِ، لَقِيَ شَيْطَانَهُ فِي طَرِيقٍ،
 فَعَشِيَهَا وَالنَّاسَ يَنْظُرُونَ». يعني: المرأة التي بهذه الصّفة والرجل
 الذي بهذه الصّفة يُفشي الأسرار الزوجيّة مثلهما مثل شيطان لقي
 شيطانه في الطريق وعشيها والناس ينظرون.

هذه بعض صفات الزّوجة الصّالحة، جمعتها من كتاب الله ﷻ
 ومن سنّة النّبيّ الكريم ﷺ، راجياً الرّبّ سبحانه أن ينفع بها من
 شاء من عباده، فهو وحده وليّ التّوفيق.

وأسأل الله - جلّ وعلا - بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن
 يهدينا جميعاً سواء السبيل، وأن يجعل ما نتعلّمه حجّة لنا لا علينا،
 وأن يُبارك لنا في أقوالنا وأعمالنا وأوقاتنا وأزواجنا وذريّاتنا
 وأموالنا، وأن يبارك لنا في حياتنا كلّها، وأن يصلح لنا ديننا الذي
 هو عصمة أمرنا، وأن يُصلح لنا دينانا التي فيها معاشنا، وأن يصلح
 لنا آخرتنا التي فيها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادةً لنا في كلّ خير،
 والموت راحةً لنا من كلّ شرٍّ، وأن يُصلح نساء المسلمين وبناتهم،
 وأن يهديهنّ سواء السبيل، وأن يردهنّ إليه ردّاً جميلاً، وأن
 يعيذهنّ من الفتن كلّها ما ظهر منها وما بطن، وأن يوفّقنا جميعاً
 لكلّ خير يحبه ويرضاه، إنه - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - سميع الدّعاء، وهو
 أهل الرّجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلّم
وبارك وأنعم على عبده ورسوله ومصطفاه محمّد بن عبد الله
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين^(١).



(١) أصل هذه الرسالة محاضرة، أجريت عليها بعض التعديلات اليسيرة، مع إبقائها على أسلوبها الإلقائي.

